دع
الكتاب
يتكلم عن نفسه

تأليف
دون فليمنج

إهـــــــداء٢٠٠٧

الشيخ /عبد السلام محمد

جمهورية مصر العربية

مجلس كنائس الشرق الأوسط
اللجنة المحلية لقسم الإيمان
والوحدة بمصر

دع الكتاب يتكلم
عن نفسه

تأليف
دون فليمنج
Don Fleming

تقديم
نيافة الأنبا بيشوى
رئيس قسم الإيمان والوحدة
بمجلس كنائس الشرق الأوسط

الناشر : مجلس كنائس الشرق الأوسط

اللجنة المحلية لقسم الإيمان والوحدة

المؤلف : دون فليمنج

الترجمة : أ / أمجد أنور

المطبعة : لوجوس برنت سنتر

الجمع التصويرى : جى. سى. سنتر

تصميم الغلاف : جى. سى. سنتر

يطلب من : ١) مجلس كنائس الشرق الأوسط - ت : ٦٣٨٣٦١٦/٦٣٨٨٧٦٨

اللجنة المحلية لقسم الإيمان والوحدة

٢) لوجوس سنتر - ت : ٢٩٠٦١٦١

٣) كلية فريتاس بمصر - ت : ٠٢/٦٣٩٥٥٢٤

٤) مكتبة دير القديسة دميانة بالبرارى

المراجعة : تمت مراجعته بواسطة نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى

رئيس دير القديسة دميانة ومطران كفر الشيخ والبرارى

رئيس قسم الإيمان والوحدة بمجلس كنائس الشرق الأوسط

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٧٦٦٤

الترقيم الدولى : 977-381-003-8

تقديم الأنبا بيشوي مطران دمياط



في إطار نشاط اللجنة المحلية بمصر لقسم الإيمان والوحدة لمجلس كنائس الشرق الأوسط MECC تم إعداد مؤتمر مسكوني للدراسات الكتابية سوف ينعقد بالتعاون مع كلية «ڤاريتاس» Veritas في مصر فى ضيافة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في المدة من ١٩ إلى ٢٢ أبريل سنة ٢٠٠٤. سوف يحضر في هذا اللقاء ممثلون عن العائلات الكنسية الأربعة المشتركة في المجلس.

وبهذه المناسبة وتشجيعاً للدراسات المتصلة بمنهجية الدراسات الكتابية، تم ترجمة كتاب «دع الكتاب يتكلم عن نفسه» تأليف «دون فليمنج» Don Fleming * من أستراليا الذي أخذ الأستاذ عماد سامي مسئول كلية ڤاريتاس بالشرق الأوسط ومقره بالقاهرة بموجب عقد رسمي؛ حق الترجمة إلي اللغة العربية والنشر والتوزيع من دار «بريدج واي» Bridge Way للنشر بأستراليا.

فقد أحال إليّ الأستاذ عماد سامي الترجمة إلى اللغة العربية وبصفتي مسئولاً عن قسم الإيمان والوحدة في مجلس كنائس الشرق الأوسط للكتاب لصياغتها بصورة تناسب العائلات الكنسية الأربعة. وقمت بذلك بناءً على طلبه بهدف إيجاد مجالاً للتعاون بين كنائس الشرق الأوسط وخاصة في مصر في حقل الدراسات الكتابية وتدريب الخدام كأحد أنشطة اللجنة المحلية للإيمان والوحدة للمجلس.

وقد تفادينا في صياغة النص العربي أن تتعرض لأي منحنى عقائدي تختلف عليه الكنائس في تفسير الكتاب، وبحيث تُقدم الفائدة المرجوّة من منهجية علمية في دراسة الكتاب المقدس وتفسيره خاصة بالنسبة للوعاظ.

وقد لاحظت أن المؤلف قد عبّر في مواضع عدة في هذا الكتاب عن إعتقاده الراسخ بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله وبصحة كل ما ورد فيه

بإعتباره وحي إلهي «كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر» (٢تي ٣ : ١٦).

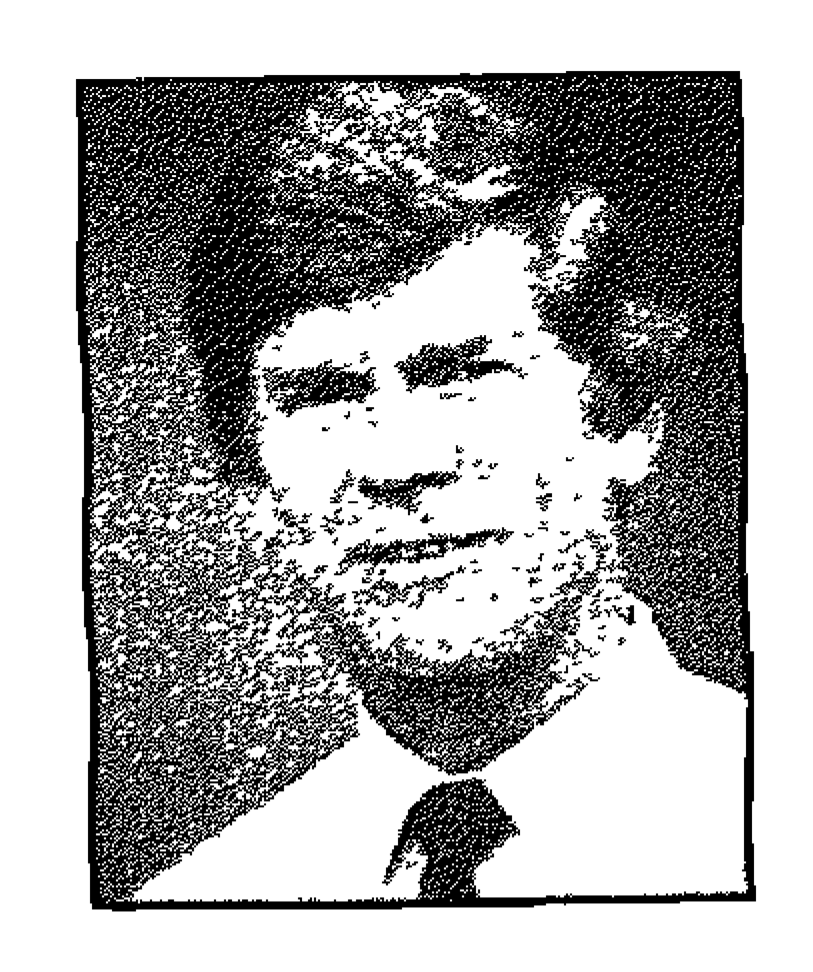
إن الكتاب المقدس متضمناً بشارة ظهور وخلاص ربنا يسوع المسيح هو الينبوع المتفجر الدائم الذي أرسل الله من خلاله معرفة الحق إلى البشرية في عديد من العصور. وكل من يقترب منه فليقترب بروح الصلاة والخشوع والتواضع ليسمع ما يقوله الروح للكنائس وللأفراد.

لذلك أعجبني عنوان الكتاب الذي نحن بصدده الآن «دع الكتاب يتكلم عن نفسه» Let the Bible Speak For Itself بمعنى ألا يحاول الإنسان أن يفرض على الكتاب المقدس مفاهيمه الشخصية، بل يقف موقف المتعلّم الذي ينهل من ينبوع الحياة مؤمناً بقول السيد المسيح «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو ٦ : ٦٣).

ليت الرب يستخدم هذا العمل المشترك من أجل سعينا المشترك نحو وحدة الكنائس. ومن أجل فهم أعمق لرسالة الكتاب المقدس لمنفعة القراء. وهذه باكورة عمل اللجنة المحلية لقسم الإيمان والوحدة لمجلس كنائس الشرق الأوسط في الدورة الجديدة للمجلس بعد إنعقاد الجمعية العامة الثامنة وإعادة وإنتخاب قداسة البابا شنودة الثالث كأحد رؤساء المجلس لدورة ثالثة وإختيار اللجنة الجديدة لقسم الإيمان والوحدة فيه.

القاهرة في ٢٤/٣/٢٠٠٤

الأنبا بيشوى
مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري
ورئيس لجنة قسم الإيمان والوحدة
بمجلس كنائس الشرق الأوسط



دون فليمنج له الخبرة العريضة والواسعة في الكرازة وحقول الكنائس وتعليم الكتاب المقدس في موطنه أستراليا وفي آسيا وأفريقيا والباسيفيك.
له المعرفة الكافية والقابلية لشرح الكتاب بالتفصيل وبسهولة في كلاً من عظاته وكتاباته. وتُرجمت له أكثر من عشرين كتاباً بإسمه في أكثر من لغة.

تمهيد

يرغب معظم المؤمنين في معرفة الكتاب المقدس واتباع ما جاء فيه بصورة أفضل ولكن كثيرين منهم يصابون بالإحباط حينما يجدون أنفسهم يقرأون بدون الانتعاش والتشوق اللذين يتطلعون إليهما. يود الكثير من الوعاظ تحفيز السامعين على نحو أكبر ولكنهم يواجهون الإحباط نفسه، الروح يريد لكن الشعلة غائبة.

ربما نحاول في بعض الأحيان أكثر من اللازم، وربما أقل من اللازم، وربما نحاول في الاتجاه الخاطيء. نريد أن يتكلم إلينا الكتاب المقدس ولكن يبدو أنه يحجم أحياناً عن التكلم. من الواضح أن مشكلتنا ترجع إلى حد ما إلى آرائنا عما يجب أن يقوم به الكتاب المقدس، ومحاولاتنا لأن نعرض عليه التعانق مع هذه الأفكار. أقترح أن نسترخي ونترك الكتاب المقدس ليعمل كما يشاء. ليتنا نسمح للكتاب المقدس أن يتحدث عن نفسه. ليست مهمتنا أن نفرض على الكتاب المقدس أن يقول أو يقوم بشيء معين وإنما مهمتنا أن نفهم ما يقول ونخضع له. يتناول هذا الكتاب الموضوعين ولكنه يركز بشكل أكبر على كيفية التعليم.

غير أن هذا الكتاب ليس كتاباً عن مناهج الوعاظ وإنما أركز فيه على تناول كيفية فهم الكتاب المقدس وتعليمه على النحو الذي أعطاه الله، أقصد كمجموعة من الأسفار تتباين من حيث الأسلوب والمضمون. هدفي هو أن أساعد الناس على دراسة الكتاب المقدس «كل سفر على حدة» وخصوصاً الوعظ من «كل سفر على حدة».

ولكننا عندما نحاول تحقيق هذا كوعاظ عادة ما نبالغ في أحد اتجاهين

إما أن نقدم دراسات تتناول آية بآية أو كلمة بكلمة، وهذه دراسة تستمر على مدى شهور، تجعل السامعين يشعرون بالملل ويرفضون أي نوع من الدراسة التفسيرية، أو أن نقوم بدراسة مسحية سريعة لا تزود السامعين بالمعرفة الكافية لفهم معنى نص السفر. غير أنه ثمة أسلوب معتدل وهو الأسلوب الذي يتناوله هذا الكتاب.

هدفي هو تناول الأسلوب الذي يمكننا كوعاظ ومعلمين من شرح سفر كتابي كامل في عدد مقبول من الجلسات واضعين في الاعتبار كرعاة احتياجات السامعين. نريد أن نوضح النص بدون إرهاق السامعين بمناقشات تقنية متخصصة كذلك نريد خدمة احتياجات الناس وفي الوقت نفسه نظل أمناء في تقديمنا لمعنى النص.

يجمع هذا الكتاب عدداً من لقاءات تعليمية قدمتها في أكثر من عشر دول. ترتبت معظم هذه اللقاءات على كتب عملية Bridge Bible Handbooks وهي ثمانية أجزاء قدمت فيها صياغة للتفسير النصي الذي يمكن للوعاظ أن يبنوا عليه عظاتهم.

ولكن لن يجد القارىء في أي من هذه الأجزاء التطبيق العملي اللازم لأدائها. علينا جميعاً أن ندرس ونبحث عن التطبيقات بأنفسنا سواء لنا أو للسامعين، وينبغي أن يقوم التدريب على فهم واعٍ للنص الكتابي. للكتاب المقدس أسلوبه في التواصل معنا ولن يفعل ذلك إلا عندما نفهمه. صلاتي أن يساعد هذا الكتاب القراء على فهم الكتاب المقدس بأنفسهم ثم تقديم الوعظ والتعليم الذي يبني معرفة الآخرين ويحفزهم.

دون فليمنج

(١)
الاتجــاه السـليم

كتاب فريد لكنه ليس صعباً

عندما نقرأ الكتاب المقدس سرعان ما نكتشف أن ما نقرأه ليس كتاباً عادياً. فإن كنا مسيحيين فإننا نقرأه باعتباره كلمة الله المكتوبة وكتاباً يقدم لنا معرفة عن من هو الله وما فعله من أجل البشر الذين خلقهم. يوضح لنا الكتاب المقدس كيف يستطيع البشر أن يعيشوا في علاقة سليمة مع الله ومع بعضهم البعض.

الله كائن أزلي أبدي لذا، لا يمكننا تحديد أبعاد طبيعته الإلهية أو أعماله على نحو دقيق بتشبيهه بأي شيء نراه في العالم المادي. بل إن اللغة البشرية تعجز عن وصف كائن ليس له شكل مرئي أو يجري عمله ولا حدود لمعرفته. غير أن هذا لا يعني أن الكتاب المقدس ينأى عن الفهم. صحيح أن الله أعظم من حدود الزمان والمكان، لكن مازالت الفرصة قائمة للبشر الذين يعيشون في ذلك العالم لكي يعرفوه. قد لا يفهم الأطفال في شئون العمل وأمور المجتمع التي تشغل والديهم ولكنهم يستطيعون التمتع معهم، وكذلك يستطيع الوالدان التواصل مع أطفالهم. وبالمثل فعندما نستمتع بعلاقة مع الله فإنه يتكلم إلينا وهو يفعل ذلك على نحو نستطيع فهمه.

حيث إن الكتاب المقدس هو كلمة الله لنا فإنه كتاب غير عادي لكنه ليس كتاباً صعباً. عندما يتكلم الله فهو يتكلم بأسلوب يستطيع الأشخاص العاديون فهمه.

من الأسباب التي تجعل الناس لا يستمتعون بالكتاب المقدس هو أنهم لا يرون هذه الحقيقة، وإنما يفترضون أننا طالما وصفنا كتاباً ما بأنه كلمة الله فلابد أنه عميق في معناه لدرجة تمنع الأشخاص العاديين من فهمه بل إن بعض الأشخاص يشعرون بأنهم يستخفون بالمقدسات إذا ميزوا الصورة البسيطة التي يقدمها الكتاب المقدس واستمتعوا بها.

عندما نقرأ الكتاب المقدس ينبغي أن نميز الفارق بين الحقائق العظيمة التي يعلنها الكتاب المقدس والأسلوب المفهوم الذي يقدم به هذه الحقائق. قد لا تستطيع أذهاننا البشرية استيعاب المعنى الكامل وراء إحدى الحقائق المعلنة (على سبيل المثال حقيقة أنه بميلاد يسوع جاء ابن الله الأزلي غير المخلوق إلى هذا العالم كبكر لخليقة من نوعه)، لكن هذا لا يعوقنا عن فهم الحقيقة المعلنة نفسها (في هذه الحالة قصة ميلاد الرب يسوع). على نحو مماثل فإننا إلى حد ما لا نستطيع فهم كيف يمكن لإله قدوس وعادل أن يقبل خطاة (تائبين) في محضره ويراهم أبراراً، لكن تفسير الكتاب المقدس لهذه الحقيقة (بأنه قد أصبح ممكناً عن طريق موت يسوع) واضح ومفهوم.

المشكلة التي تواجه الكثير من المسيحيين حينما يقرأون الكتاب المقدس هي أنهم يتوقعون أنه صعب بل قد يظنون إنهم إذا فهموه بسهولة زائدة

فإنهم يصبحون غير روحانيين ولا يعطون كلمة الله حق قيمتها. ولا ينطبق هذا على قارئي الكتاب المقدس وحدهم بل يشمل أيضاً الوعاظ. كثيراً ما يصبح الكتاب المقدس صعباً لا لشيء إلا لأن الوعاظ يجعلونه صعباً- ربما بسبب رغبتهم في إثارة إعجاب المستمعين بمدى روحانيتهم أو تعليمهم. لكن يجب أن تكون رغبتهم هي مساعدة المستمعين على العودة إلى بيوتهم بفهم أفضل للكتاب المقدس مما كان حينما جاءوا.

أي شخص يستطيع أن يفهم

من السمات الفريدة للكتاب المقدس هو أنه رغم أن معظم علماء التفسير لا يستطيعون استجماع كل ما يمكن معرفته عنه فإن أبسط القراء يستطيع أن يستوعب رسالته. ينبغي أن نتذكر أنه عندما كتبت أسفار الكتاب المقدس لم يكن الكثير من القراء الأصليين حاصلين على درجات متقدمة في العلم حسب مقاييس الوقت الحاضر. كان الكثير من قارئي رسائل العهد الجديد من المؤمنين الجدد الذين لم تكن لهم خبرة سابقة بالكنيسة. غير أنه من الواضح أن هؤلاء الأشخاص فهموا ما كتبه كاتبو الأسفار.

من أسباب عدم الفهم الكافي للكتاب المقدس بين المسيحيين في الوقت الحاضر هو أن الكثيرين يقرأونه بالأسلوب الخاطيء وآخرين يعظون به بالأسلوب الخاطيء. إذا أردنا أن نفهم الكتاب فهماً أفضل فربما نحتاج إلى تغيير بعض من عاداتنا السيئة التي طالما استخدمناها كقراء وأيضاً كوعاظ.

عمل الروح القدس

يؤمن المسيحيون بأن كُتّاب الكتاب المقدس كتبوه بواسطة عمل روح الله فيهم (٢بط ١ : ٢١) . غير أن هؤلاء الكتاب لم يكونوا كائنات آلية، أو مثل آلات بشرية كاتبة استخدمها الله ليرسل رسائل بغض النظر عن أفكارهم أو مشاعرهم. كانوا أشخاصاً أذكياء كتبوا لأن لديهم ما أرادوا أن يخبروا به. في الوقت نفسه كانت كتاباتهم بوحي من الله وبهذا كانت هذه الكتابات تحمل توقيع موافقة الله، وهذا هو المقياس الذي يحمل السلطان الإلهي لتعليم الحق وتقويم الخطأ وتوضيح طرق الحياة (٢تيمو ٣: ١٦ ـ ١٧) .

عندما كتب بولس الرسول إلى المؤمنين في كورنثوس ليوضح أن روح الله يسكن في المؤمنين وبذلك يستطيعون أن يعرفوا الله ومقاصده (١كو ٢ : ١٠ ـ ١٣) . هذا لا يعني أننا إذا كنا مؤمنين لا نحتاج إلى قراءة الكتاب المقدس بل بالعكس فقد أعطانا الله الكتاب المقدس حتى يجد الروح القدس وسيلة موضوعية تاريخية واقعية ليستخدمها في تعليمنا. لم يعطنا الله الروح القدس لنستغني عن دراسة الكتاب وإنما لنجعل هذه الدراسة مثمرة.

هذا الروح القدس نفسه هو الذي أوحى بكتابة الأسفار المقدسة في المقام الأول. إذن إذا عرفنا معلومات عن الظروف التي أوحى فيها الله بالنصوص الأصلية سنكون في موقع يساعدنا على رؤية تطبيقات الروح على حياتنا اليوم. تحتوى الكلمة المقدسة على قوة في داخلها، فهي

حية وفعالة (عب ٤ : ١٢) وستتضح لنا أوجه تطبيقها في حياتنا بمجرد أن نفهمها.

واجب على الجميع

إذن الواجب الأول الملقى على عاتقنا هو أن نفهم الكلمة المقدسة لا أن نقرأها بهدف البحث عما تحتوي عليه من دروس. يظن المسيحيون أحياناً أن عليهم استخلاص درس أو «فكرة» خاصة بهم من كل جزء يقرأونه وإلا سيعتبرون أنفسهم فاشلين، عندئذ سيشعرون بأنهم روحانيون. لكي يتحاشوا هذا الإحساس بالفشل، يفرضون على الكتاب المقدس أن يعطيهم معنى ما أو فكرة ـ وهنا أية فكرة ستؤدي الغرض طالما أنها تمنحهم شعوراً بالراحة بأنهم لم يهدروا وقت قراءة الكتاب المقدس.

ليس هذا اتجاهاً صحياً للتعامل مع قراءة الكتاب المقدس. في واقع الأمر قد يعد هذا الاتجاه اتجاهاً مهيناً للكلمة المقدسة. ليس دورنا أن نفرض معانٍ معينة على الكتاب المقدس وإنما أن نخضع له. لسنا سادة الكتاب وإنما هو الذي يسودنا. ينبغي أن نفهم ما يقوله لا أن نجعل منه ألغازاً. ينبغي أولاً أن نسترخي ولا نقلق كثيراً إذا لم نحصل على فكرة من كل آية. على الناحية الأخرى ينبغي أن نمضي المزيد من الوقت والمجهود في محاولة لفهم الجزء الكتابي الذي نقرأه. بمجرد أن نفهم فعادة ما نرى تطبيقه في حياتنا بوضوح لدرجة أننا سوف نتساءل كيف لم نره من قبل. بعد أن نسأل أنفسنا عن معنى الجزء الكتابي

نسأل أنفسنا عما يمكن أن نتعلم منه.

الله يريد لشعبه أن يقوموا بتدريباتهم الروحية ليس فقط بالروح وإنما بالذهن أيضاً (١كو ١٤ : ١٥). يريدنا أن نفهم كلمته وإذا طلبنا معونته في قراءتنا فلنا يقين أنه سيعيننا فالله يمنح معونته لمن يطلبها بإيمان (يع ١ : ٥).

كذلك أعطى الله كنيسته أنواعاً مختلفة من المعلمين من بينهم من أعدهم روحه لشرح كلمته بمزيد من الوضوح (١كو ١٢ : ٨ ، أف ٤ : ١١ - ١٤). قد يعلم هؤلاء المعلمون من خلال كلماتهم المنطوقة أو كتاباتهم، كذلك ينبغي علينا أن نجتهد لسماع ما يقولون ونقرأ ما يكتبون.

إذا كان على المعلمين أن يشرحوا الكلمة المقدسة للآخرين فلابد أن يتبنوا اتجاهاً سليماً في تفسيرها. لكنهم ليسوا الأشخاص الوحيدين الذين ينبغي عليهم تحري التفسير السليم، إذ هو واجب على جميع المسيحيين، فعليهم أن يفحصوا ما يقرأونه ويسمعونه (١كو ١٤ : ٢٩ ؛ ١تس ٥ : ٢١ ؛ ١يو ٤ : ١). إذن علينا أن نصل إلى درجة ما من الثقة فيما فهمناه مما يعلنه الكتاب المقدس ومعرفة معناه.

الأمانة والصبر

إن كل قاريء للكتاب المقدس اختبر في وقت من الأوقات صعوبة في معرفة المعنى الدقيق لسفر من أسفار الكتاب المقدس (أو جزء من سفر). يرجع هذا إلى حد ما إلى أننا اليوم بعيدون كثيراً عن الأحداث

وربما أيضاً عن ثقافة الفترة الكتابية ولغتها. غير أننا نستطيع الحصول على معلومات مفيدة عن عالم الكتاب المقدس، وبهذه المساعدة نستطيع أن ندرس الكتاب المقدس بثقة وحماس.

من الطبيعي أننا نريد استفادة حياتية يومية من قراءة الكتاب المقدس لكن ينبغي ألا تطغى رغبتنا في الحصول على تطبيقات عملية على تفسيرنا للمعنى الذي يقصده كاتب الوحي، فحتى التحدي أو التعزية التي تحتوي عليها الأفكار التأملية لا يجعلان من هذه التفسيرات تفسيرات صحيحة للكلمة المقدسة. إذا قرأنا الكتاب المقدس باحثين عن أفكار تأملية في كل آية فسرعان ما سنجد أنفسنا وقد أهملنا مواضع كاملة من الكتاب لكي نركز على تلك الأجزاء التي تقدم لنا دروساً وعبراً أكثر وضوحاً. ربما نجد أنفسنا نكرر قراءة أسفار مثل المزامير ورسالتي فيلبي ويعقوب ونهمل أسفاراً مثل الملوك وإرميا والعبرانيين وبهذا نحد نمونا الروحي.

ليس الكتاب المقدس مجموعة منتخبة من الأفكار التأملية والقواعد الأخلاقية أو الأفكار الدينية المجردة، وإنما يشمل بين دفتيه جميع أنواع الكتابات التي تختلف فيما بينها من حيث الشكل والأسلوب والهدف والمحتوى. ينبغي ألا نفرض إجابات أو دروساً روحية على الكتاب المقدس، وإنما ندع كل كاتب يقول ما يريد قوله بغض النظر عما نريد نحن أن نسمع منه. نحن لا نكرم الكتاب المقدس حينما نفرض عليه معان تختلف عن المعاني التي قصدها كاتبوه. إذا أردنا أن نستفيد من

دراستنا للكتاب المقدس فلا غنى عن الأمانة.

من الأمور التي لا غنى عنها لقراءتنا للكتاب المقدس هو الصبر. علينا أن ندرك أن إحدى سمات اللغة المنطوقة أو المكتوبة هي أن الشخص لا يستطيع التعبير عن أكثر من أمر واحد في المرة، فقد ترتبط العبارة الواحدة الواردة في أحد أجزاء الكتاب المقدس بجانب واحد من موضوع ما - وهو الجانب الذي يهم الكاتب في حينه.

نحتاج إلى التحلي بصبر مقدس حينما نقرأ الكتاب المقدس. معطين إياه الفرصة ليقول ما يريد وبأسلوبه حسب الزمان الذي كتب فيه.

النص له سمو

عندما نتحدث عن نص الكلمة المقدسة لا نقصد آية منفصلة عن الكتاب المقدس لكن النص كله الذي نقرأه سواء كان الكتاب المقدس كله أو أحد الأسفار أو جزءاً مكملاً من أحد الأسفار. ولأننا نحترم سلطان الكتاب المقدس فعادة ما نحب اقتباس أصحاح أو آية لندعم معتقداتنا الإيمانية. إن الرغبة في التوصل لسلطان كتابي أمر محمود لكن ينبغي أن نحترس لئلا يدفعنا هذا إلى تشويه معنى النص.

أحياناً ندرس ما يسمى بعلم اللاهوت النظامي Systematic Thedogy وهو نوع من الدراسة التي تربط آيات من جميع مواضع الكتاب المقدس لتقدم لنا تعليماً حول موضوعات كتابية. غير أنه علينا أن نحترس لئلا ننخرط في مثل ذلك النوع من الدراسة قبل أن نعرف

أولاً معنى الآيات في سياقها الأصلي. بصفة عامة ينبغي أن نقوم بدراسة متأنية لأي سفر كتابي قبل اقتباس آيات منفصلة منه.

إن نص الكلمة المقدسة له وقار على النحو الذي أعطانا إياه الله. هذا النص هو كلمة الله وليس ترتيبنا له. ينبغي أن نحترس لئلا نفرض على النص أي نظام للتفسير الخاص بعلم اللاهوت مهما رأينا من فائدة لذلك النظام. الكتاب المقدس مثله مثل الحياة - مليء بالنهايات المفتوحة - أشياء قد لا تتلاقى، وتناقضات ظاهرية وأسئلة لا إجابة لها. إذا لم ينسجم المعنى الواضح لنص كتابي انسجاماً كاملاً مع النظام الخاص بعلم اللاهوت في التفسير فعلينا أن نعيد مراجعة النظام بدلاً من لوي عنق النص.

مهما كان السفر الذي نقرأه في الكتاب المقدس فمن الأرجح أن نجد إعلانات ستحيّرنا في بادئ الأمر. يشعر بعض الناس بأنهم لا يستطيعون مواصلة القراءة قبل البت في هذه المشكلات. غير أنه إذا لم تكن المشكلة ذات أهمية للمعنى الإجمالي للقسم فربما يجدر بنا أن نمر عليها مر الكرام مؤقتاً. وبينما نواصل قراءتنا أو دراستنا للسفر أو الانتقال إلى أسفار أخرى فلعلنا سنجد أن المشكلة تحل نفسها، وربما أيضاً لا تحل نفسها. ولكننا في يوم ما سنعود إلى السفر ببصيرة روحية أكثر عمقاً من القراءة السابقة سنجد حلاً للمشكلة السابقة.

إن حياتنا تتغير باستمرار، ولن تصل إلى كمال المعرفة في أي من مراحلها. لذا، ينبغي أن نتحلى بالصبر عندما نواجه مشكلات. ربما

نشتاق إلى حلول فورية سريعة لكننا لا نحصل عليها باستمرار.

نأتي أمام الكتاب المقدس كمتعلمين، فلا نتوقع أن نعرف كل شيء نحتاج إلى معرفته في المرة الأولى التي نبدأ فيها دراسته دراسة جادة. كذلك ينبغي ألا نحاول إثبات صحة المعتقدات التي نستحدثها بالبحث عن الآيات المناسبة. لكن المسئولية الأولى الملقاة على عاتقنا هي أن نقبل كلمة الله على النحو الذي أعطاه. ليس دورنا أن نستخدم النص وإنما ندع النص يستخدمنا.

(٢)
القــراءة بفهــم (١)

قبل أن نبدأ

نحتاج إلى الانتباه حينما نتحدث عن خطوات وطرق مرتبطة بالتفسير الكتابي لأن الكتاب المقدس ليس نصاً واحداً متواصلاً يتفق في أسلوبه ومحتواه، وإنما مجموعة من الأسفار التي تتباين تبايناً كبيراً في شكلها. علينا إذن أن نقرأ أسفاراً مختلفة بطرق مختلفة، ومع ذلك تبقى أمور أساسية محددة لأية دراسة للكتاب المقدس مهما كان السفر الذي ندرسه.

نعلم جميعاً أن عالم الكتاب المقدس كان مختلفاً عن العالم في الوقت الحاضر إلا أن الكثير من المسيحيين يغفلون هذه الحقيقة عند قراءة الكتاب المقدس. إذا أردنا أن نفهم الكتاب المقدس بصورة أفضل فعلينا أن نعرف بعض المعلومات عن السمات الجغرافية والاجتماعية والدينية لعالم الكتاب المقدس، ونستطيع ذلك عن طريق أي دليل أو قاموس أو موسوعة أو أطلس ومجلة أو فيلم أو كل ما يقدم معلومات عن المناطق أو الأقاليم التي يتناولها الحدث الكتابي. إذا تطلعنا إلى المعرفة فربما

نجد أن الفرص المتاحة لزيادة معلوماتنا العامة أعظم مما نتصور.

اعرف البلد

إذا حكينا في الوقت الحالي لأصدقاء من بلدنا عن رحلة قمنا بها إلى جزء آخر من بلدنا فعادة سيكون لديهم بعض التصور عما نتكلم؛ فهم سيعلمون ما إذا كان المكان شمالاً أو جنوباً، حاراً أو بارداً، جافاً أو بارداً، مسطحاً أو جبلياً. وهذه المعرفة تحفزهم وتمنحهم شعوراً بالاهتمام لسماع ما نحكي. لكن إذا حكينا لهم عن رحلة قمنا بها في بلد بعيد وذكرنا أماكن لا يعرف عنها أصدقاؤنا شيئاً، فلن تجد قصتنا الصدى نفسه فإذ أن أسماء الأماكن لا تعني شيئاً بالنسبة لهم فإنهم لا يستطيعون استيعاب أجزاء هامة من قصتنا.

للأسف تعد الحالة الأخيرة مثالاً للطريقة التي يقرأ بها كثيرون منا الكتاب المقدس. عادة لا ننتبه لأسماء الأماكن (ربما بسبب صعوبة نطق الأسماء أو ربما لأننا لا نريد تحمل مشقة تعرف موقع هذه الأماكن) وبالتالي فإننا لا نستطيع فهم قيمة تفاصيل هامة يسجلها الكاتب.

نقرأ في الأصحاحين ١٧ ، ١٨ من سفر القضاة قصة طويلة لن نجد لها معنى ذا أهمية ما لم نعلم مواقع الأماكن المذكورة. تهدف هذه القصة إلى توضيح كيف اضطر سبط دان إلى الخروج من أرضهم التي على ساحل البحر المتوسط ليحصلوا على أرض جديدة في أقصى شمال إسرائيل. ستفقد قصة رحلات بولس التبشيرية الكثير من فحواها إذا لم

نتابع خطوط سيرها على الأطلس. عندما نستكشف الأماكن التي ذهب إليها تصير السياسة التي اتبعها في عمله أكثر وضوحاً.

علاوة على معرفة الأماكن والبلدان والمدن ينبغي أن نعلم قدراً من المعلومات عن نوعية الأرض، فاليوم مثلاً حينما يذكر أحدهم اسم سيبيريا يتبادر إلى أذهاننا صورة أرض خربة تغطيها الثلوج، وعندما يذكر أحدهم اسم الصحراء الكبرى نميل إلى تصور صحراء حارقة. وعندما نسمع اسم قناة السويس نتخيل طريقاً مائياً مختصراً يصل البحر المتوسط بالمحيط الهندي عن طريق البحر الأحمر هكذا ينبغي أن ننمي الألفة بالأماكن المذكورة في الكتاب المقدس.

على سبيل المثال كانت أرض أدوم أرضاً جدباء تغطيها الجبال الصخرية، وهذه الحقيقة تساعدنا على فهم بعض من تعليقات الكتاب المقدس عليها (تث ٢: ١ ـ ٣ ؛ إر ٤٩: ١٦ ـ ١٧ ؛ حز ٣٥: ٧ ـ ٨). فرغم ما اتسمت به هذه الأرض بعدم الملاءمة إلى حد كبير للزراعة، فقد كانت على مقربة من طرق التجارة الدولية بواسطة مينائها الذي كان يطل على البحر الأحمر، وهو عصيون جابر (أو إيلات حالياً). وهذا يوضح السبب الذي جعل الأدوميين تجاراً أكثر منهم فلاحين، وكذلك يبرر سبب أن عصيون جابر أصبحت موضع صراع بين الأدوميين وجيرانهم الذين حاولوا السيطرة عليها (تث ٢: ٨؛ ١مل ٩: ٢٦ ـ ٢٨؛ ٢٢: ٤٨؛ ٢مل ١٤: ٢٢؛ ١٦: ٦؛ عا ١: ٦، ٩).

لم يكن كتّاب الوحي في حاجة إلى وصف أرض أدوم لأن قراءهم

كانوا يعرفونها بالفعل (تماماً مثلما نعرف نحن الصحراء الكبرى أو قناة السويس). لكننا عندما نقرأ في الكتاب المقدس عن أدوم سنجد أن أزمنة وأماكن كثيرة تفصلنا عنها. لذا فنحن في حاجة إلى بذل مجهود لنعرف عنها المزيد وإلا سيفوتنا معنى تعليقات الكاتب.

أما المدينة التي تفوق أدوم في أهميتها فهي أورشليم لأنه إذا لم نعلم أن أورشليم كانت تقع فوق تبة منيعة فلن ندرك ملياً قصة فتح داود لأورشليم في الأصحاح الخامس من سفر صموئيل الثاني، ونفس الأمر ينطبق على إشارات معينة عن أورشليم في مزامير داود.

وبالمثل ينبغي أن نعرف بعض سمات نهر الأردن لكي نفهم معناه في الكثير من الأحداث الكتابية. كان النهر محاطاً بأدغال كثيفة وضفاف منحدرة ويخترق وادياً عميقاً وهذه العوامل مجتمعة جعلت عبوره أمراً صعباً، فلا يمكن عبوره بسهولة إلى مدى إلا في بضعة مناطق قليلة (يش ٢ : ٧؛ قض ٣ : ٢٨؛ ٧ : ٢٤؛ ١٢ : ٥) وحيث إن نهر الأردن يقسم أرض إسرائيل إلى جزء شرقي وآخر غربي فلابد أن نحدد الجزء الذي يتكلم من واقعه الكاتب لكي نعلم الجزء «الآخر» (عد ٣٢ : ٥؛ يش ٢٢ : ٤؛ ٢صمو ١٩ : ١٥؛ يو ١٠ : ٤٠).

إن الفوائد التي نجنيها من المعرفة عن أدوم وأورشليم ونهر الأردن فوائد واضحة ولكن ليست الأماكن المذكورة سوى أمثلة، إذ تتضاعف الفوائد حينما نعرف المزيد عن البلدان والمدن والجبال والأنهار والأودية التي يذكرها الكتاب المقدس. لا يعني هذا أن علينا حفظ الأطلس أو

دراسة الجغرافيا قبل دراسة الكتاب المقدس، وإنما الاقتراح الذي نقدمه هو أن نتوقف أثناء القراءة للبحث عن كل ما يمكن أن يساعدنا لمعرفة المزيد عن الأماكن الهامة التي تقابلنا. إذا التزمنا بعمل ذلك فسرعان ما نجد أنفسنا وقد كوَّنا رصيداً زاخراً من المعلومات العامة التي يمكن الاعتماد عليها حينما نقرأ موضعاً آخر من الكتاب المقدس. عندما نرى أهمية مكان أو سمة معينة في حدث ما فليس من المرجح أن ننسى ما تعلمناه حينما نقابل المكان أو السمة في حدث كتابي آخر.

أسلوب الحياة

لاشك أننا سنستفيد بأية معلومات لدينا عن العالم القديم في قراءتنا للكتاب المقدس. وهذا يتضمن أكثر من مجرد المعرفة عن عادات ثقافية أو طقوس دينية متفرقة، فهي تنطوي على تغيير في اتجاه التفكير كما لو أننا نضع أنفسنا في موضع أولئك الأقدمين لندرك نظرتهم للأشياء.

تأمل - مثلاً - الحياة الزراعية التي كانت شائعة بالنسبة لمعظم البشر في إسرائيل العهد القديم. نعلم اليوم أن علينا أن نعرف بعض المعلومات عن أعمال الزراعة عند شعب إسرائيل (الحرث، الغرس، الحصاد، الدرس، وما شابه ذلك) لكي نفهم بعض الأحداث الكتابية. إن الأمر الذي يفوتنا أحياناً هو أن علينا أيضاً أن نعرف بعض المعلومات عن دورة السنة الزراعية عند شعب إسرائيل لكي نفهم مغزى الأعياد السنوية الدينية. أما إذا لم نستطع إدراك أوجه ارتباط الطقوس الدينية بالحياة

اليومية فلن نعرف معنى الكثير من هذه الطقوس.

غير أن طقوساً شريرة ظهرت من واقع الحياة الزراعية لشعب إسرائيل من بين هذه الطقوس عبادة البعل. يصوّر العهد القديم هذه المشكلة أكثر من مرّة، لكن القراء المعاصرين سيجدون صعوبة في فهم الإحالات التي تشير إليه ما لم يدركوا طبيعة عمله. لا يتوقف كاتب الوحي في منتصف سرده للأحداث ويقول «الآن ينبغي أن أشرح لكم المزيد عن عبادة البعل» وهذا لأن الأشخاص الذين كتب إليهم كانوا يعرفون حق المعرفة ما هي عبادة البعل. غير أنه عندما نأتي لقراءة الكتابات نفسها بعد بضعة آلاف من السنين فلابد أن نتوقف لنعرف كل ما يمكن معرفته عن الطقوس الدينية القديمة.

عادة ما نجد هذه المعلومات في قاموس الكتاب المقدس الذي بدوره يستمد الجزء الأكبر من معلوماته من الكتاب المقدس نفسه. ربما تكون هذه المعلومات متناثرة عبر صفحات الكتاب المقدس ولكن يمكننا توفير الوقت بالاستعانة بذلك المرجع المفيد حيث قام أحدهم بالبحث نيابة عنا. بالنسبة لمفهوم عبادة البعل فإن المعلومات التي سوف نعرفها عن الموضوع في سفر واحد من أسفار الكتاب المقدس ستكون لها فائدة كبيرة وواسعة النطاق إذ إن عبادة البعل تعد من الأفكار المحورية عند الكثير من أنبياء العهد القديم.

إن الوعظ الذي سجله الكتاب المقدس مثله مثل الوعظ اليوم لا يقتصر في تركيزه على المشكلات المحلية وإنما يستعين بأمثلة توضيحية من

واقع العادات والسلوكيات المحلية. لذا لابد أن نمضي بعض الوقت لمعرفة المزيد عن مثل هذه العادات والطقوس لكي نستطيع فهم الوعاظ الأقدمين.

متى وكيف ولماذا ؟

بالإضافة إلى معرفة بعض المعلومات عن جغرافيا الكتاب المقدس وثقافاته ودياناته فينبغي أن نعرف بعض المعلومات عن السياق التاريخي لمختلف أسفار الكتاب المقدس. في معظم الحالات لن نستطيع فهم أسفار العهد القديم ورسائل العهد الجديد ما لم ندرك التوقيت والمكان والظروف والهدف الذي كتبت لأجله. فمثلاً معرفة سفر الملوك أمر أساسي لفهم أسفار الأنبياء وكذلك معرفة سفر أعمال الرسل أساسية لفهم رسائل بولس الرسول.

تعلن بعض الأسفار موضوعها أو الهدف منها في مستهلها. فمثلاً يخبرنا ميخا النبي أن نبوته تتركز على خطايا مدينتي السامرة وأورشليم كما يحدد الفترة التي كتب فيها نبوته (مي ١ : ١ ، ٥). يستهل بولس رسالته إلى مؤمني غلاطية بالإشارة إلى أنه يكتب من أجل توبيخ التعليم الخاطيء الذي نادى به البعض بقصد تحويل المؤمنين عن الإيمان بالإرتداد في حركة التهود إلى ممارسات العهد القديم الناموسية (غل ١ : ٦ ، ٩).

غير أنه ليس جميع الكتاب يبدأون بهذه العبارات الواضحة الصريحة

وربما نضطر بعض الوقت في دراسة السفر أو الرسالة لاكتشاف فكرتها المحورية. لقد سبقنا كثيرون في هذا المضمار، فإذا كان من السهل علينا الاستفادة من مجهوداتهم فينبغي ألا نتردد في الرجوع إليها. ليس علينا أن نتفق معهم في كل ما يقولون ولكنهم على الأقل سيجذبون انتباهنا لمعلومات مهمة في داخل السفر.

في كثير من الحالات لا يعوزنا إلا القليل من المساعدة في تحديد العبارات التي يحتويها سفر ما فتمدنا بالمعلومات التي نحتاج إليها. على سبيل المثال عندما يبدأ بولس نقده لأهل كورنثوس بقوله «لأني أخبرت عنكم يا أخوتي من أهل خلوي أن بينكم خصومات» (١كو ١: ١١)، ندرك شيئاً من طبيعة الحال في كنيسة كورنثوس وبالتالي نعرف شيئاً عن سياق الرسالة. وعندما يقول «يُسمع مطلقاً أن بينكم زنى» (١كو ٥: ١)، نعلم المزيد عما دفعه للكتابة. وعندما يضيف قائلاً «وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها» (١كو ٧: ١)، نعلم أنه تلقى رسالة من مؤمني كورنثوس تحتوي عدداً من الأسئلة التي يجيب عليها واحداً تلو الآخر (مثل ما جاء في ١كو ٨: ١؛ ١٢: ١؛ ١٦: ١١)، وهلم جرا. تحتوي الرسالة على عبارات تساعدنا على تكون صورة سياقية ـ عن سبب كتابة بولس للرسالة أو المكان الذي كان فيه حين كتبها، ومن كان معه، وماذا كان يهدف من كتابتها، وهكذا.

من الضروري أن نجد هذه المعلومات الأساسية ونستخدمها وإلا فلن نفهم السفر كما ينبغي. لكي أوضح هذه الفكرة لنفترض أني أعمل

بصفة مؤقتة في مدينة بعيدة وتلقيت رسالة من ابنتي. فإذا أعطيت تلك الرسالة لآخرين لكي يقرأوها سوف يستطيعون قراءة الكلمات المكتوبة بل ربما يستطيعون فهم بعض محتويات الرسالة لكنهم لن يفهموا جزءاً كبيراً من الرسالة. ربما سوف يجهلون الأشخاص أو الأماكن أو الأحداث التي أشارت إليها زوجتي. وليس من المتوقع أن يفهموا إحالات لأمور ناقشناها أنا وزوجتي قبل رحيلي. غير أنه إذا قدمت عرضاً للمعلومات الأساسية عن جميع هؤلاء الأشخاص والأماكن والأحداث والموضوعات فإن قارئي الرسالة سيفهمونها بصورة أفضل، ومع ذلك لم يمس الرسالة أي تغيير، فلم تتغير الكلمات زيادة أو نقصاناً عن ذي قبل. إن معرفة المعلومات الأساسية وحدها تساعد الآخرين على فهم هذه الكلمات.

نشبه نحن الذين نقرأ الكتاب المقدس اليوم أولئك الذين في مدينة بعيدة ويقرأون رسالة كتبت في المقام الأول إلى شخص آخر. ربما نستطيع قراءة الكلمات المطبوعة على الورق ولكننا لن نستطيع استيعابها ما لم نعرف قدراً من المعلومات عن الأشخاص والموضوعات المرتبطة بالنص. نشبه أشخاصاً يجدون جريدة بعد مئة عام من نشرها. لم يكن الجمهور الأول للجريدة في حاجة إلى معرفة السياق لشرح الموضوعات المطروحة ولكننا نحتاج إلى هذه المعرفة.

لم يقل بولس «هذا هو سياق (خلفية) رسالتي إلى مؤمني كورنثوس لأنهم كانوا يعلمون ذلك. إذن ليس للنص المقدس خلفية معلوماتية

موحى بها. لكننا لسنا أهل كورنثوس، لذا نحن نحتاج مثل هذه المعلومات الأساسية التي تمثل السياق لكي نفهم الرسالة التي كتبها بولس إليهم.

اختيار كتَّاب الوحي

يعد نقص المعلومات الأساسية من الأسباب التي تجعل الكثير من القراء يجدون أسفاراً معينة صعبة أو مملة أو لا تمت لحياتهم بصلة. لكن من الممكن أن تنبض الحياة في هذه الأسفار حينما ترى كيف كتبت والسبب وراء كتابتها. لا تقتصر هذه الحقيقة على الرسالة وإنما تنطبق على الكتابات التي تتسم بطابع أكثر عموماً مثل الكتابات التاريخية. ينبغي ألا نكتفي بالظروف المحيطة للكتابة بل نطلع على أمور مثل اختيار الكاتب للأحداث وترتيبه لذكرها.

تأمل مثلاً سفر أخبار الأيام. قد يبدو هذا السفر مملاً للكثير من القراء لأنه يبدو لا يحتوى إلا على أسماء ترتبط بأحداث وقعت في سفري صموئيل والملوك. لكن بمجرد أن ندرك هدف الكاتب والأسلوب الذي يستخدم به مادته يأخذ السفر طابعاً مختلفاً، فتنبض فيه الحياة ويصبح زاخراً بالتعليم.

كان اليهود المسبيون في بابل على وشك أن يرجعوا إلى وطنهم وأراد كاتب سفر أخبار الأيام أن يؤكد لهم أهمية إعادة بناء حياتهم الوطنية على أساس سليم. لم يكونوا مجرد شعب يهاجر إلى أرض الأجداد وإنما كانوا امتداداً للأمة قبل السبي وهو أمر يرتبط بالتزامات معينة.

وهكذا يعيد سرد تاريخ مملكة شعب بني إسرائيل ليؤكد لهم أن نسل داود الملك هو النسل الشرعي الوحيد، وأورشليم هي المدينة الشرعية وهيكل أورشليم هو المقدس الوحيد، وكهنوت لاوي هو النظام الديني الشرعي. وهكذا فهو يتحرى الدقة في اختيار هذه المادة وترتيب ذكرها.

نظراً لهذه الأهداف الرئيسية فإن سفر أخبار اليوم يختلف اختلافاً ملحوظاً عن سفري صموئيل والملوك إذ يضيف كاتبه معلومات تتناسب مع قصده ويستغني عما لا يخدمه هذا القصد. يريد الكاتب تأكيد أنه لابد للمدينة التي سيعاد بناؤها أن تكون لها حياة دينية فعالة لتتمتع ببركة الله. وبمجرد أن نقرأ السفر من منظور قصد الكاتب نبدأ في إدراك أن في السفر الكثير مما يفيدنا اليوم.

يعد سفر أخبار اليوم من أقل الأسفار التي تُقرأ في الكتاب المقدس لكنه ليس استثناءً. إذا تناولنا إنجيل يوحنا وهو من أكثر الأسفار الكتابية التي تُقرأ نجد الكاتب يتحرى العناية نفسها في اختيار مادته واستخدامها لأنه أيضاً يكتب بهدف محدد نصب عينيه. يعلن يوحنا أن مادة وفيرة في متناول يديه لكنه لم يستعن سوى ببعضها. لقد اختار عدداً من المعجزات (أو الآيات) وكتب حولها سفراً ليقنع الناس بأن يسوع المسيح هو ابن الله حتى يؤمنوا به ويجدوا حياة أبدية (يو ٢٠: ٣٠ - ٣١).

كذلك إنجيل لوقا يحتوي على هدف محدد نراه في أسلوب اختيار الكاتب لمادته وترتيبه لها. يوجه الكاتب حديثه لشخص يبدو أنه يشغل منصباً حكومياً مرموقاً ليقدم له سفراً له مصداقية حول ميلاد المسيحية

ونموها (لو ١ : ١ ـ ٤؛ أع ١ : ١ ـ ٣). بمجرد أن نتعرف قصد لوقا فمن المرجح أن ندرك سبب ذكره أحداث بعينها والمعنى الذي يريدنا فهمه منها.

إعلان الله

قد نجد في الكتاب المقدس قصصاً شائقة وتعاليم أخلاقية مؤثرة لكن ينبغي ألا نظن أن كاتبي الوحي مجرد رواة أو معلمين أخلاقيين؛ فهم قبل كل شيء رسل الله الذين يعلنون عنه لقرائه. إنهم يوضحون لنا كيف ينفّذ الله مقاصده سواء بين البشر أجمعين أو في حياة شعبه. من الخطورة أن نتعامل مع أحداث كتابية مثل قصة يوسف أو شمشون أو داود أو إليشع باعتبارها قصص أطفال في المقام الأول لأننا بذلك نخطيء فهم القصد الحقيقي لهذه الأحداث وما تعلنه عن عمل الله آنذاك.

كما أن كتاب الوحي المقدس ليسوا رواة أو معلمين أخلاقيين في المقام الأول فإنهم ليسوا مجرد مؤرخين وإنما العامل المشترك بينهم هو أنهم يعلنون عمل الله في الخلاص والدينونة ويسجلون هذا العمل. هذا هو السبب الذي يجعل سفري ملوك الأول والثاني مختلفين عما نتوقعه في كتب التاريخ. فربما نجدهما يتعاملان مع أحداث ليست ذات أهمية سياسية في تفصيل شديد وفي الوقت نفسه يستخدمان كلمات قليلة في ذكر ملوك كان لهم ثقل سياسي كبير. لا يقومان بمجرد تسجيل الأحداث وإنما يوضحان كيف كان الله يتعامل مع شعب إسرائيل ويهوذا والأمم

الأخرى.

على نحو مشابه فلسنا نجد في العهد الجديد تسجيلاً يومياً لخدمة الرب يسوع العلنية أو عرضاً يصف انتشار المسيحية عاماً تلو الآخر. ليس الكتاب المقدس كتاباً لتاريخ العالم وإنما إعلان لعمل الله في إتمام خطة الخلاص. ولا يقودنا الكتاب المقدس لنكون بشراً خارقين نمتلك معرفة خارقة وإنما يقودنا لنعيش حياة لها معنى بأن نعرف الله ونتكل على حكمته وقوته ومحبته.

أنواع مختلفة من الكتابات

ربما من أكثر سمات الكتاب المقدس التي غالباً ما يغفلها القراء هو تنوع أشكال كتاباته؛ إذ نجد بين دفتي الكتاب السرد القصصي، والأجزاء الشعرية، وأقوال الحكمة، والشرائع، والرؤى، والرسائل، والمجادلات، وسجلات الأنساب. تختلف الأسفار اختلافاً بيناً بل إننا قد نجد في السفر الواحد أجزاء كتبت بأساليب متباينة. ينبغي أن نحدد الأسلوب ونفسّره حسب ما يقتضيه نوعه.

لسبب ما غالباً لا نستطيع تبني مثل هذه الطريقة عند قراءتنا للكتاب المقدس رغم أننا نستخدمها على نحو طبيعي حينما نقرأ معظم الأعمال الأخرى. نعلم أن القصة الصريحة تختلف عن القصيدة الشعرية ونقرأها بأسلوب مختلف. فمثلاً عندما نقرأ صحيفة (جريدة) ما نرى الفارق بين التقارير الإخبارية والإعلانات والمقالات المصورة والكاريكاتور

ونكيّف قراءتنا تلقائياً بينما ننتقل من نص إلى آخر. في واقع الأمر هذا ما يتوقعه منا كاتبو هذه المواد فإذا لم نفعل ذلك سنسيء فهمهم.

منِ الواضح أن القراء الأصليين للكتاب المقدس رأوا أن أنواعاً مختلفة من الكتّاب قدموا رسالة الله بطرق مختلفة. كان في زمن العهد القديم أنبياء وقضاة ومعلمو كلمة (إر ١٨ : ١٨). أما زمن العهد الجديد فقد تميّز بالكارزين من الرسل الذين قاموا أيضاً بعمل الرعاة والمعلمين (أف ٤ : ١١). كان لكل منهم دور مختلف وأسلوب مختلف في إتمام هذا الدور.

على سبيل المثال تأمل الفارق بين شريعة موسى النبي وكتابات باقي الأنبياء. كتب الأنبياء كثيراً عن إدانة التقدمات والذبائح لا لأنها ضد الناموس ولكن بسبب سلوك أولئك الذين كانوا يمارسون هذه الطقوس من الكهنة. يوضّح النص الذي كتبت به الشريعة شروط العهد الذي ارتبط به الشعب وكان واجب الكهنة أن يعلّموها. أما النصوص النبوية فقد كتبت من وجهة نظر أخرى إذ نظر النبي إلى حياة الشعب وكأنه ينظر بعيني الله وقدم لهم رسائل محددة من الله. كان النبي واعظاً وليس مشرعاً ووضع التحدي أمام الخطاة ليرجعوا إلى الله وإلا عانوا من العواقب.

على الناحية الأخرى لا يتوقع معلم الحكمة من جمهوره أن يعامله مثل المشرع أو النبي (الأسفار الكتابية مثل أيوب وأمثال والجامعة هي كتابات لمعلمي حكمة). لم يكن معلم الحكمة ـ مثل النبي ـ يتحدث من

منظور الله نحو حياة الشعب ومستقبلهم، وبالتالي فلم يكن يستهل حديثه بكلمات مثل «هكذا يقول الرب». وإنما كان معلم الحكمة ينظر إلى أمور الحياة من منظور الإنسان العادي أو من المنظور المثالي الذي يريد الله أن يعلمه للناس إلا أنه كان يكتب دائماً بوحي من الروح القدس. الأمر المهم هنا أن كلا من النبي ومعلم الحكمة توقع من جمهوره أن يتعامل مع رسالته على نحو يختلف عن الآخر. ينبغي ألا نفسر عبارة قائلها نبي وأخرى مصدرها معلم حكمة تبدوان متشابهتين (أو متضادين) باستخدام القواعد نفسها. إذا لم نستطع تمييز المنظورين المختلفين للكاتبين فإننا سنسيء فهم قصد كل منهما.

حالة خاصة

تتطلب الكتابات الرؤوية مثل الأجزاء التي نجدها في حزقيال وزكريا وسفر الرؤيا نوعاً خاصاً من التفسير؛ فهي تصور رؤى عن حيوانات مخيفة وأرقام غامضة، وعادة ما تتناول صراعات يغلب فيها الله وشعبه. لكننا لا نستطيع باستمرار فهم مثل هذه الكتابات. فإذا فسرنا هذه الرمزية على نحو حرفي فإننا سنسيء فهم قصد الكاتب.

بطبيعتنا نشعر بفضول يدفعنا لفهم معنى الرؤى لكن ينبغي أن ندرك أن كتّاب الوحي لم يكونوا يتكلمون باستمرار عن أمور تهمنا على نحو مباشر. فإذا لم نعرف منهم ما نريد أن نعرف، علينا أن نترك الأمر عند هذا الحد وألاّ نحاول أن نلوي عنق النص ليتناسب مع رغباتنا.

غير أننا سنجد مدى ارتباط كتاباتهم بالواقع الذي نعيشه حينما نرى كيف تعامل الله مع شعبه في تلك الأزمنة العصيبة، ومن ثم نستخلص الدروس عن تعاملات الله معنا في الوقت الحاضر.

(٣)
القــراءة بفهــم (٢)

صياغة الأفكار في كلمات

رغم أن أموراً مثل التاريخ والجغرافيا والثقافة وكاتب الوحي ونوع الكتابة تظل في أذهاننا باستمرار أثناء قراءتنا للكتاب المقدس فإن أكثر ما يلفت انتباهنا الكلمات نفسها. فمهما كانت اللغة التي ننطق بها فإن الكلمات هي الوسيلة التي نعبّر بها عن أفكارنا. وإذا أردنا أن نعبر عن تلك الأفكار بأسلوب سليم ينبغي أن نستعين بالكلمات السليمة.

إذن الكلمات الفعلية للكتاب المقدس تمثل أهمية كبيرة لأنها تعلن ما يريد الله أن يقوله. أدرك كتّاب الوحي هذه الحقيقة لدرجة أنهم قد يطرحون جدالاً أو مناقشة حول كلمة محددة. هذا ما يفعله بولس في (غل ٣: ١٦) حيث يجذب الانتباه إلى كلمة وردت في (تك ١٢: ٧) حول وعود الله لإبراهيم ونسله. هذه كلمة في صيغة المفرد وليس الجمع، وهي فكرة يستخدمها بولس ليوضح أن التحقيق الفعلي للمواعيد لا يوجد في أمة بأكملها، وإنما في شخص محدد وهو يسوع المسيح.

غير أن هذا لا يعني أنه لابد أن تكون دراسة الكتاب المقدس دراسة كلمة بكلمة (قائمة على الكلمة وحدها). تعد الكلمات أجزاء من الجملة وتكمن أهميتها في الحق الذي تعبر عنه. لذا يمكن لكاتبي العهد الجديد

أن يقتبسوا آيات من العهد القديم بدون استخدام الكلمات نفسها بالتحديد، وإنما يعبرون عن المعنى نفسه بدون اتباع الأسلوب نفسه. هذا ما يفعله بولس الرسول في (رو ١١ : ٨) حيثما يربط بين ما جاء في (إش ٢٩ : ١٠ و تث ٢٩ : ٤) باستخدام أسلوبه في حرية.

سواء كنا نقرأ الكتاب المقدس بلغتنا أو بإحدى اللغات الأصلية (العبرية للعهد القديم واليونانية للعهد الجديد) ينبغي أن ندرك أنه من الممكن أن تتباين وحدات المعنى في طولها، وهذا يتوقف على أسلوب الكتابة وهدف الكاتب. في بعض الأحيان يعتمد قدر كبير من المعنى على كلمة أو كلمتين، وفي حالات أخرى قد يتكون المعنى من عدة جمل. لكن علينا باستمرار أن نضع المنظورين نصب أعيننا. معنى الكلمات يعتمد على السياق في الجملة، ومعنى الجملة يعتمد على الكلمات فيها.

النثر والشعر

يعد الشعر العبراني من الأمثلة الجيدة التي توضح كيف يمكن لفكرة رئيسية واحدة تصاغ في شكل أدبي مطول، ولا نستطيع اكتشاف المعنى بالتركيز على كلمات منعزلة وإنما بتأمل عدد من السطور أو الجمل الشعرية التي تمثل معاً فكرة كاتب الوحي. تتابع الكلمات والعبارات بعناية وتنتظم لكي تعطي تأثيراً عاماً.

فمثلاً قد تعبر جملة ما على الفكرة الرئيسية ثم تأتي جملة ثانية لتكررها وإنما على نحو مختلف إلى حد ما (متوازٍ) «قنية الحكمة كم

هي خير من الذهب وقنية الفهم تختار على الفضة» (أم ١٦ : ١٦) . في حالات أخرى قد تتكرر آية ما كقرار (مثل حز ٤٢ : ٥ ، ١١) كما نكرر اليوم بعض العبارات حينما نرنم ترانيم معينة. وليس التكرار والموازاة سوى خاصيتين من بين سمات تميز الشعر العبري ويذكراننا بأن علينا أن نتأمل كيف تستخدم الكلمات لكي نستطيع فهم معناها. نحتاج إلى أن نعرف أسلوب الكتابة الذي نقرأه.

حيث إن القالب الشعري كان الشكل الذي كتب عليه جزء كبير من العهد القديم (أبرز هذه الأسفار سفر المزامير ومعظم الأسفار النبوية والحكمة) فنحن نحتاج أن نميّز أنه شعر لكي نستطيع أن نفهمه. على سبيل المثال دعونا نفترض أني شاعر، وأني أقرض قصيدة ما أعبر فيها عن أفكار قلبي وأعمق مشاعري، فإني أختار الكلمات وأصيغها بطريقة معينة بقصد ترك انطباع معين. لست أتبع القواعد المعتادة لكتابة النثر وربما أستعين بمجموعة متنوعة من الصور البيانية والبلاغية والتعبيرات التي قد لا تتناسب مع النثر.

لكن لنفترض أن شخصاً ما التقط قصيدتي وأخذ يقرأها بدون أن يضع الشعر في الاعتبار ـ كما لو كانت عدة فقرات مأخوذة من الصفحة الأولى لإحدى الجرائد اليومية. لن يستطيع ذلك الشخص فهم كلماتي فحسب بل إني سأشعر بخيبة الأمل. إن كنت أكتب الشعر فإني أتوقع من الآخرين أن يقرأوه كما يقرأون الشعر. وبالمثل فإن شعر الكتاب المقدس يتوقع منا أن نقرأه كشعر. غير أن المسيحيين كثيراً ما يقرأونه كما لو كان نثراً. وبهذا فقد يفسرون تفسيراً حرفياً ما قصد الكاتب أن

يكون بلاغياً. ولكن الأسوأ من ذلك أنه من المرجح أن يخطئوا الحالة المزاجية للكاتب وهدفه بالكامل.

اقتفاء أثر الكلمات

يعد المعجم المفهرس للكتاب المقدس وسيلة مساعدة مفيدة في العثور على الكلمات وتتبع استخدامها. يورد المعجم المفهرس كل كلمات الكتاب المقدس مرتبة هجائياً وكل موضع وردت فيه هذه الكلمات. كما أن المعجم الأكثر توسعاً يورد الأصل العبري أو اليوناني الذي اشتقت منه الكلمة، بل إنه من الممكن أن تحتوي هذه المعاجم على قاموس للكلمات العبرية واليونانية مرتبة هجائياً. ستوضح الإرشادات للقاريء كيف يستخدم المعجم المفهرس والقاموس ليحقق أفضل استفادة.

رغم ما قد يقدمه المعجم المفهرس من مساعدة فإنه لا يستطيع أن يساعدنا بأكثر من الإشارة إلى الموضع الذي وردت فيه الكلمات فهو لا يستطيع أن يخبرنا كيف تستخدم الكلمة. مازلنا نحتاج إلى معرفة سياق كل سفر كتابي ترد فيه كلمة ما وإلا سنسيء فهم هذه الكلمة. ليست الكلمة شيئاً ثابتاً أو آلياً، وليست مثل العدد أي أن لها قيمة ثابتة بغض النظر عن السياق، وإنما من الممكن أن تتباين في معناها وقيمتها من موضع لآخر.

معان متنوعة

ينبغي ألا نندهش حينما نجد أن معنى كلمة أو عبارة ما يختلف من

موضع لآخر في الكتاب المقدس؛ فهذا جزء من طبيعة اللغة. كما جرت العادة ينبغي أن نتذكر أن العامل الرئيسي في تحديد معنى كلمة أو عبارة ما هو طريقة استخدام الكاتب لها. الكلمة جزء من جملة، والجملة جزء من فقرة، والفقرة جزء من صفحة. وهذه جميعها تكون السياق الذي ترد فيه الكلمة، وإذا لم نعرف السياق فسوف نجد صعوبة في تحديد المعنى.

على سبيل المثال تعد عبارة «انتقل إلى اليسار» عبارة واضحة ولكن من الممكن أن يكون لها أكثر من معنى. قد تعني أن الشخص تنحى جانباً لكي يعبر شخص آخر أو أنه غير انتماءه السياسي. السياق وحده سيحدد المعنى.

على النحو نفسه يستخدم الكتاب المقدس كلمات وعبارات قد تبدو واضحة ولكن السياق وحده يحدد معناها. هذه حالة كلمات مثل «الجسد» و «الروح». في بعض الحالات تشير كلمة «جسد» إلى الجسم (في ١ : ٢٤)، ولكن في مواضع أخرى تشير إلى الطبيعة الخاطئة للإنسان (رو ٨ : ١٢ ـ ١٣). قد تشير كلمة «الروح» إلى كيان شرير غير مرئي (مر ٧ : ٢٥)، أو روح الإنسان (٢كو ٧ : ١) أو الروح القدس (غل ٥ : ٢٥). قد تكون هذه الاختلافات في المعنى واضحة في بعض الأحيان، ولكنها قد لا تكون واضحة في أحيان أخرى. غير أنه لا نستطيع افتراض معنى كلمة معينة هو نفسه في كل مرة نقرأ الكلمة في الكتاب المقدس أو حتى في السفر نفسه. علينا أن ننتبه إلى الأسلوب الذي يستخدم الكاتب به الكلمة.

تعد كلمة «خاطيء» مثالاً للتنوع في المعنى. قد نعتقد أنها كلمة واضحة وبسيطة حتى إن معناها سيظل ثابتاً دائماً. هذا صحيح بصفة عامة لكن المعنى المحدد للكلمة يتباين تبعاً لاستخدامها.

عندما يستخدم كاتب سفر الجامعة كلمة «خاطيء» فهو يشير إلى البشر بصفة عامة وبالتحديد إلى أولئك المحبطين الباحثين عن معنى الحياة من خلال الحكمة والمتعة والعمل. «الخاطيء» هو عكس الشخص الذي «يرضي الله» (جا ٢ : ٢٦ ؛ ٧ : ٢٦). أما معنى الكلمة فيختلف في الأناجيل؛ حيث إن «الخطاة» بحسب الاستخدام الدارج لزمن الرب يسوع كانوا أصحاب السمعة السيئة مثل الزواني وجباة الضرائب (لو ٧ : ٣٤ ، ٣٧).

عادة ما تتغير معاني الكلمات على مدار السنين. من الممكن أن نتذكر كلمات إنجليزية وعربية تغير معناها على مدار حياتنا وحدث هذا أيضاً في الأزمنة الكتابية. ومن ثم ينبغي أن نفهم الألفاظ الكتابية حسب معناها في زمن كاتبيها وليس حسب معناها في الزمن الحاضر.

قد نظن اليوم أن النبي شخص يتنبأ في المقام الأول (مثل نبي الأرصاد الجوية) غير أن الناس في أزمنة العهد القديم نظروا إلى النبي باعتباره رسولاً أو متحدثاً رسمياً. دعي هارون نبياً لأنه تحدث بالنيابة عن موسى (حز ٧ : ١). إن الأنبياء الذين يضم الكتاب المقدس كتاباتهم كانوا أشخاصاً تكلمون بالنيابة عن الله. وبهذا قد يتنبأون بما سيحدث إذا انتبه الشعب إلى كلمة الله أو أهملوها غير أنهم كانوا رسلاً لله في المقام الأول. كانوا وعاظاً معينين من عند الله ليعلنوا مشيئة الله لشعبه

(إر ١: ٧، ٩، ٢: ١ ـ ٢).

اللغة التمثيلية

من السمات الأخرى للغة الكتاب المقدس هي استخدام التعابير الاصطلاحية كما هو السائد في أى نوع من الأحاديث أو الكتابات فإن الكتاب المقدس يستخدم التعابير الاصطلاحية (أو اللغة المميزة) على نحو متكرر وعلينا أن نحرص لئلا نفسرها تفسيراً حرفياً. كما أننا لا نفسر التعبير الإنجليزي How do yo do? تفسيراً حرفياً (المعنى الحرفي «كيف تفعل؟» والمعنى السائد هو «كيف حالك؟») . فينبغي ألا نفسر التعبير الكتابي «رفع عينيه ونظر» . حينما يبدأ عاموس في التكلم عن بلد تلو الآخر ويذكر أنه بسبب ذنوبهم «الثلاثة والأربعة» لن يرجع الله عقابه عنهم لم يقصد أن كل بلد قد ارتكب ثلاثة أو أربعة ذنوب معينة. ولكنه كان يستخدم تعبيراً اصطلاحياً يعني أنهم أذنبوا كثيراً (مراراً وتكراراً) لدرجة أن لم يصبح من الممكن أن يفلتوا من العقاب.

كذلك يستخدم كتاب الوحي الأعداد على نحو مميز حينما يبالغون في تأكيد فكرة ما يتحدث ميخا عن «ربوات أنهار زيت» (مي ٦: ٧) ويتحدث بولس عن «عشرة آلاف كلمة بلسان» (١كو ١٤: ١٩) . كذلك توضح هذه الأمثلة أن الكتاب المقدس لا يريدنا دائماً أن نفسر الأرقام باعتبارها حسابات رياضية.

عندما نقول إن شيئاً ليس حرفياً لا نقصد أنه غير حقيقي. ذات مرة

كنت أعظ من سفر الرؤيا قلت إنه ينبغي ألا نفسر السفر حرفياً اعترض واحد من الحاضرين معتقداً أني أنكر الحق الموجود في السفر، لكنني كنت أقصد أن الله أعلن حقه بواسطة مجموعة من الرؤى ولابد من تفسير تلك الرؤى. على سبيل المثال لا أفهم بأن حيواناً له أربعة أرجل وسبع رؤوس وعشرة قرون وذيل طويل سيملك على البشر في الأرض. الحيوان في الرؤيا رمز وليس حرفياً، وهو يرمز لشخص أو نظام له سلطان من الشيطان ليهيمن على الجنس البشري. ليس الحيوان حيواناً حرفياً مثل الأسد أو الدب، وإنما رمز لشخص أو شيء أكثر بشاعة وإثارة للخوف.

عندما نقرأ الدراسات المرتبطة بالكتاب المقدس ونستمع إلى وعاظ سنقابل كلمة «حرفي» على نحو أو آخر. ومن ثم يجب أن نعرف ما يقصده المفسرون والوعاظ بالكلمة. يرجع الارتباط إلى أن الكثير من الناس يسيئون استخدام الكلمة حتى في الحديث اليوم. سمعت مؤخراً أحد مذيعي التليفزيون يقول عن مبنى عادي مزدحم «كان المبنى يتفجر بالبشر» لم يكن المبنى يتفجر مطلقاً وإنما كان متماسكاً وسليماً كما يتضح من الصور. إذا كان المبنى يتفجر كان لابد أن نرى انفجاراً من الطوب والأجسام البشرية. ما كان يقصده المذيع هو أن المبنى يتفجر (رمزياً) بالناس.

يشيع استخدام اللغة البلاغية (التصويرية) في الكتاب المقدس وينبغي أن نفسرها من هذا المنطلق. إذا قلنا إننا لا نفسرها تفسيراً حرفياً فلا

نقصد أننا لا نؤمن بها فنحن نقبل ما كتبه كاتب الوحي ونريد أن نفهم قصده.

تطلع أنبياء العهد القديم إلى الوقت الذي فيه «يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته» (مي ٤ : ٤). إذا فسرنا هذه الحقيقة تفسيراً حرفياً فهذا يعني أن كل شخص عبر البلاد سيزرع كرمة وشجرة تين ثم يخرج من بيته ويجلس تحتها. أما إذا فسرنا هذه الحقيقة تفسيراً بلاغياً (حيث إنها صورة شعرية) فإننا سنجد أنها إشارة لرغبة شعب إسرائيل ليعيشوا في سلام ورضا بممتلكاتهم بعيداً عن كل تدخل وقمع واضطهاد وإشارة للسلام الروحي لشعب الرب في العهد الجديد. وبهذا نفسّر العبارة كما قصدها الكاتب.

أسفار كثيرة لكنها كتاب واحد

رأينا حتى الآن في هذه الدراسة أن الخطوة الأولى هي أن نفسر كل جزء من أجزاء الكتاب المقدس في السياق الذي ورد فيه. كان لكل كاتب من كتبة الوحي هدف محدد من مخاطبة قرائه وعلينا أن نفسّر ما كتبه حسب ذلك الهدف.

غير أن هذا لا يعني أننا نستطيع تفسير أي جزء من أجزاء الكتاب المقدس بدون أدنى اعتبار لبقية الكتاب؛ فالكتاب وحدة متكاملة وينبغي أن نقرأ كل سفر في سياق الكتاب المقدس كله. سيتحسن فهمنا للكل حينما نضع الأجزاء في الاعتبار، ويتحسن فهمنا للأجزاء حينما نضع

الكل في الاعتبار. وينبغي أن نضع المنظورين نصب أعيننا كل حين.

لا توجد وحدة الكتاب المقدس في نظام متسق الإحكام حيث يصبح لكل كلمة المعنى نفسه في كل حين، وإنما تتمثل في انسجام الإعلان كله وكماله. ينبغي ألا نقسم الكتاب المقدس إلى أجزاء صغيرة كما لو أن الله كان يغير طرقه باستمرار أو يراجع خططه. لكننا نجد في الكتاب المقدس انسجاماً منذ بدايته وحتى نهايته، فهو يسجل ما كان الله يعمله عبر تاريخ البشرية بدءاً من أول تمرد في عدن وحتى اكتمال خطة الخلاص في يسوع المسيح. عادة ما يطلق على أسلوب الكتاب المقدس في إعلان خطة الخلاص اسم الإعلان التقدمي. أما دراسة ما كان الله يعمله عبر مراحل هذه العملية فقد شاعت تسميته علم اللاهوت الكتابي.

الإعلان المتدرج

لله خطة تعطي لتاريخ الجنس البشري معنى، لكنه لم يعلن تلك الخطة كلها دفعة واحدة في بداية التاريخ الإنساني، وإنما أعلنها مرحلة تلو الأخرى لكي يعد البشر للإعلان المكتمل الذي جاء في يسوع المسيح.

عندما يتحول البشر من الخطية إلى الإله الحقيقي وحده ويطلبون خلاصه وغفرانه الرحيم فإنهم ينالونه بغض النظر عن جنسهم أو الحقبة الزمنية التي يعيشونها. غير أن غفران الله لا يعرف عدم المسئولية، وخلاصه ليس أمراً عشوائياً وإنما يعمل حسب خطته الكاملة ويوضّح الكتاب المقدس كيفية سير هذه الخطة.

كانت خطة الله باختصار تقضي بأن يختار شخصاً واحداً (إبراهيم) ويخرج منه أمة (إسرائيل) ويأتي من هذه الأمة بمخلص العالم (يسوع). توضح لنا الأجزاء الأولى من الكتاب المقدس كيف أعطى الله شعب إسرائيل قانوناً أخلاقياً ليعيشوا بموجبه (ناموس موسى) وأرضاً يعيشون فيها (كنعان). وتواصل القصة لتوضح كيف أن الله أسس نسلاً ملكياً (نسل داود) ليأتي يسوع من خلاله. ثم يوضح العهد الجديد كيف أن يسوع أصبح المخلّص وكيف حمل تابعوه رسالة الخلاص إلى العالم ليتحقق ذلك الخلاص بالتمام في عودة يسوع في نهاية الزمان.

بمجرد أن نرى مقاصد الله العامة وتوجيهه للتاريخ نحو تحقيق هذه المقاصد سيتحسن فهمنا للكتاب المقدس. حينما نعرف علاقة كل سفر بالإعلان المتقدم (المتدرج) ستتحسن قِدرتنا على تفسيره. ينبغي أن نقرأ كل سفر من منطلق الحقبة التي كتب فيها وألا نفرض عليه من معان ما لم يقصده كاتبه.

بهذا سوف نتجنب التطرف في اتجاهين متضادين. فعلى ناحية قد نقع في خطأ معاملة الكتاب المقدس من منطلق تاريخي كما لو لم يزد عن مجرد تحفة في متحف، وعلى الناحية الأخرى قد نقع في خطأ اختلاق روحانية من خلال إضفاء مسحة مسيحية على كل التفاصيل ففي بعض الفقرات كان الكتاب المقدس يعرض لجوانب تاريخية في حياة البشر دون أن يعلّق عليها أو دون أن يعلن رأي الله بشأنها. غير أنه يصح أن نقول إن كتاب العهد القديم رأوا في العهد الجديد ما لم

يلحظه الكتاب الأصليون (١بط ١ : ١٠ ـ ١٢) . وهكذا ينبغي أن نتأمل الأوجه التي يتمم العهد القديم بها العهد القديم.

يتحقق

رأينا أنه بينما يعلن الله مقاصده تدريجياً فإن كل مرحلة من مراحل هذا الإعلان تعتمد على المرحلة التي تسبقها وتعد إضافة لها في الوقت نفسه. نحن نفهم معنى كل مرحلة من مراحل الإعلان حسب فهم أولئك الذين تلقوها. ولا يتغير هذا المعنى بإضافة مراحل أخرى وإنما يزداد أهمية ووضوحاً. فنحن مثلاً نفهم العهد القديم في سياقه ولكن في ضوء معرفتنا بالعهد الجديد نرى العهد القديم من منظور جديد. لا تؤدي معرفتنا الإيمانية إلى تغيير معنى العهد القديم وإنما تعطينا رؤية جديدة.

ثمة رأي شائع يقول بأن العهد القديم أقل أهمية ومكانة وأن العهد الجديد يصوبه. ويميل البعض إلى الاعتقاد أن الله لم يحكم حبكة العهد القديم ولكن عندما جاء يسوع حاول مرة أخرى وفي هذه المرة استقامت الأمور. قد لا يعبّر بعض المسيحيين عن شعورهم بصورة واضحة، كما أن العديد منهم للأسف يشعرون بعدم ارتياح تجاه العهد القديم ويتجاهلونه إلى حد كبير. غير أننا عندما نقتبس آيات من العهد الجديد تشير إلى الكلمة المقدسة باعتبارها موحى بها وذات سلطان فإن تعبير «الكتب» يشير إلى العهد القديم. يستطيع العهد القديم أن يقودنا إلى الخلاص ويعلمنا الحق الإلهي ويدربنا في السلوك السليم ويجهّزنا لحياة لها معنى

(٢تيمو ٣ : ١٥ ـ ١٧ ؛ قارن بما جاء في مت ٢٢ : ٢٩) .

العهد القديم غير كامل فقط من منطلق أنه لم يتكمل بعد، وليس من منطلق أنه غير سليم. لا يقدم العهد الجديد تصويباً للعهد القديم وإنما يكمله ويأتي به إلى درجة الكمال ويتممه ويختمه. بين العهدين القديم والجديد انسجام. كان عمل الله في إعلان خطة الخلاص وإتمامها عملاً متدرجاً ومتسق الخطوات. عندما أشرق العهد الجديد بمجيء الرب يسوع لم يكن الله في حاجة لتقويم شيء قاله أو عمله من قبل.

لكي نوضّح هذا الحق دعونا نتأمل عملية بناء بيت ما. يضع الباني خريطة البناء، ثم يضع الأساس ويبني الجدران ويضع إطار السقف. البيت في هذه المرحلة يشبه العهد القديم أي غير كامل لأنه غير مكتمل ولكن لا يعيبه هذا في شيء، فقد بني كل جزء بطريقة سليمة وحقق الهدف المرجو منه غير أن عمل البناء يواصل التقدم وأخيراً سيكتمل البناء. لم يضطر الباني إلى إزالة شيء مما بناه في المراحل الأولى من البناء وإنما أكمل العمل وأتمه ببساطة. هذا يشبه ما عمله الله بيسوع المسيح وإعلان العهد الجديد.

يساعدنا هذا على فهم المعاني التي قصدها كتّاب العهد الجديد حينما يشيرون إلى إتمام العهد الجديد للعهد القديم. لم يروا أن الإتمام يقتصر على تحقيق النبوات كما لو أنهم أرادوا إثبات مدى براعة أسلافهم في التنبؤ بالمستقبل، وإنما كان الإتمام يعني بالنسبة لهم إتمام خطة وضعها الله للجنس البشري من خلال تاريخ شعب إسرائيل.

وها هي الخطة تتحقق في يسوع، ومن ثم انفتحت عيونهم ليروا مغزى إعلانات العهد القديم وأحداثه وهي أمور لم يفطن إليها بالكمال جميع من سبقوهم (مثال ما جاء في مت ٤ : ١٤ ـ ١٦؛ ١٢ : ١٧ ـ ٢١) .

لكي نوضح هذه الفكرة دعونا نعود مرة أخرى لمثالنا التوضيحي لبناء البيت. عندما يؤسس الباني غرفة فهو يبني جدراناً ليصل إلى غرفة مساحتها أربعة أمتار مربع حسب ما جاء في خطته. إنه يعلم ما يفعل ويؤديه بطريقة سليمة. وبعد انتهاء البناء نجد أن مالك البيت قد وضع بعيداً عن الأنظار أرضية بديعة تغطي بالضبط الأمتار الأربعة ويضعها في تلك الغرفة. لم تكن لدى الباني فكرة عن الأرضية أثناء عملية البناء لكن المالك كان يعلم فلهذا صمم الغرفة لتكون مساحتها أربعة أمتار. إن ما كتبه كاتبي العهد القديم كان يحمل معنى لمعاصريه، لكن هذا المعنى اتسع وزادت قيمته حينما رأى كاتبو العهد الجديد كيف كان الله يعمل. كان الله يعمل واضعاً الخطة أمام عينيه وها هو يتمم مقاصده في يسوع المسيح.

طالما أن العهد الجديد يتمم العهد القديم فإننا سنكتشف المزيد من المعاني فيه حينما نفهم العهد القديم بصورة أفضل. وعلى نحو مماثل فإننا سنكتشف المزيد من المعاني في العهد القديم حينما نفهم العهد الجديد بصورة أفضل. تتمثل ذروة الإعلان الإلهي المتدرج في العهد الجديد وبالتحديد في يسوع المسيح. في المسيح لا نرى العهد القديم وحده بمنظور جديد وإنما نرى التاريخ كله كذلك.

(٤)
مساعدة الآخرين

أساس للثقة

بمجرد أن نتبنى الأسلوب السليم في تفسير الكتاب المقدس فإننا نضع أساساً نبني عليه وعظنا وتعليمنا. لا نركز في هذا الكتاب على تقنيات الوعظ بصفة عامة وإنما على موضوعات محددة ترتبط بمساعدة الآخرين على فهم الكتاب المقدس على النحو الذي أعطاه الله. ولا يمكننا تحقيق هذا الهدف ما لم نفهمه نحن أولاً على النحو الذي أراده الله.

ليس بالضرورة أن يمتلك جميع المؤمنين موهبة الوعظ ليكونوا وعاظاً في الكنيسة وليس كل الوعاظ يستخدمون مواهبهم كما ينبغي. يستطيع الوعاظ أن يستخدموا الكثير من التقنيات المتنوعة ليجعلوا وعظهم أكثر تشويقاً ولكن للأسف يلجأ كثيرون منهم إلى تقليل حجم النص الكتابي الذي يتعاملون معه بل إنهم قد يشككون على المستوى الشخصي في قيمة الوعظ شاعرين أنهم غير قادرين على منافسة المناقشات واللقاءات والدراما والأفلام التي تلعب دوراً كبيراً في وسائل التواصل في الوقت الحاضر. غير أن الوعظ الجيد سيظل محتفظاً بمكانته وسلطانه مهما طرأ من تغيرات على المجتمع. إنه جزء أساسي من حياة الكنيسة مهما

بلغت استفادة الكنيسة من أشكال التواصل الأخرى.

الوعظ والتعليم

عندما نتأمل أفضل السبل لتفسير الكتاب المقدس ينبغي ألا نرسم خطاً جاداً فاصلاً بين الوعظ والتعليم؛ فكلا الوظيفتين يرتبط بالآخر لدرجة أنه في كثير من الأحيان يتضاءل الفرق بدرجة كبيرة. نتعلم من النماذج الكتابية أن الشخص نفسه يمكن أن يقوم بكل من دور الواعظ والمعلم (مت ٤: ٢٣؛ أع ١٥: ٣٥؛ ٢تيمو ٤: ٢).

توضح النماذج الكتابية إن كلا الوعظ والتعليم يغطيان نطاقاً من الأنشطة وفي بعض الأحيان يبدو أنهما متبادلان. أحياناً ما يرتبط الوعظ بالإعلان مثل المناداة بالخبر السار لأولئك الذين يحتاجونه (لو ٤: ١٨؛ أع ٨: ٤، ١٢، ٤٠؛ ١تس ٢: ٩) في حين يهتم التعليم بتقديم الحقائق والسلوكيات المسيحية (أع ٢٠: ٢٠؛ ١كو ٤: ١٧؛ كو ٢: ٧). غير أن التعليم أيضاً ضروري لأولئك الذين لا يؤمنون (لو ٤: ٣١ ـ ٣٢؛ أع ٤: ٢؛ ٢تيمو ٢: ٢٤ ـ ٢٦) كذلك الوعظ بحقائق الإنجيل العظيمة أمر ضروري لتحفيز المؤمنين (رو ١: ١٥ ـ ١٦؛ ١٦: ٢٥).

وهكذا فلن نفرق تفريقاً صريحاً بين الوعظ والتعليم فنحن لا نركز هنا على الكرازة (بمعنى تقديم رسالة الإنجيل لغير المؤمنين) وإنما نركز على الوعظ في الكنيسة. ومع ذلك فإن الوعظ عن المسيح هو نفسه الكرازة بالإنجيل باعتبار أن رسالة الرجاء التي يقدمها الله إلى

العالم ترتكز على شخص المسيح (٢كو ٤ : ٥ ـ ٦) .

ما السلطان الذي يملكه الواعظ؟

الله يريد البشر رجالاً ونساءً أن يعرفوا عنه ويعرفونه معرفة شخصية ويتعلمون مقاصده من نحوهم؛ لهذا أعلن الله نفسه للعالم. لقد تكلم الله بطرق شتى في العهد القديم ولكنه في مجيء المسيح تكلم على نحو غير مسبوق بواسطة إبنه الذي كان هو الله الظاهر في الجسد (يو ١ : ١ ، ١٤؛ ١تي ٣ : ١٦؛ عب ١ : ١ ـ ٢) . كذلك تكلم الله بواسطة الكلمة المقدسة؛ فقد أعطى إعلاناً مكتوباً عن نفسه يُمكن المناداة به في كل أنحاء العالم حتى يعرف عنه البشر في كل مكان ويختبرونه شخصياً (٢تيمو ٣ : ١٥ ـ ١٧؛ ٢بط ١ : ٢٠ ـ ٢١) .

حيث إن الله أعطى هذه الكلمة المقدسة لشعبه فإن على الذين يعلمونهم مسئولية خاصة أمام الله. عندما يشرح المعلمون هذه الكلمة ويطبقونها فإنهم يكونون ممثلين عن الله، إذ إئتمنهم الله على إعلانه ومن ثم فلابد أن يكونوا حريصين في طريقة استخدامهم له. لأنهم أؤتمنوا على الحق الإلهي. ومن ثم ينبغي أن يكونوا «أمناء» (١كو ٤ : ١ ـ ٢) . ينبغي أن يعلن الوعاظ كلمة الله على نحو سليم يطابق معناها وفي الوقت نفسه يفيد السامعين.

إن كان الله قد اختارنا للتعليم فإننا عندما نعظ نكشف أو نعلن عن رسالة ليست خارجة من عندنا ومع ذلك ينبغي أن نعامل الرسالة وكأنها

رسالتنا الشخصية. ليس ما نقوم به مجرد نقل رسالة شخص إلى آخرين وإنما نحن نعلم السامعين وننقل لهم تحديات اختبرناها بأنفسنا.

إذا احتذينا بمثال بولس فسوف نعلّم رسالة الله كاملة ولن نمسك عن سامعينا شيئاً يمكن أن يفيدهم. نعلم الكلمة ولكن أثناء التعليم نحن نقدم ما تحتويه الكلمة من تشجيع وإنذار وتحديات (أع ٢٠ : ٢٠ ، ٢٧). عندما نعظ نحن نمسك بسلطان ولكنه ليس سلطاننا وإنما سلطان الكلمة التي نعلنها. ليس السلطان أن نقدم ما يحلو لنا أو نفرض آراءنا على جمهور من المستمعين الصامتين.

قد يقول أحد أنبياء العهد القديم «هكذا يقول الرب» (عا ٢ : ٤ ـ ٦)، ويقول يسوع «أنا أقول لكم» (مت ٥ : ٢٧ ـ ٢٨)، لكن علينا اليوم أن نحترس من إضفاء سلطان إلهي على ما نقول. يجدر بنا أن نشمل أنفسنا حينما نذكر أي تحديات باستخدام ألفاظ مثل «ليتنا جميعاً» أو «دعونا» وهذا لأننا موضوعون تحت السلطان نفسه الذي يخضع له المستمعون. ربما يجدر أن نقول «علينا مسئولية توصيل رسالة الإنجيل لجيراننا» بدلاً من أن نقول «عليكم مسئولية أن توصلوا رسالة الإنجيل لجيرانكم». عندما ننمي عادة أن نشمل أنفسنا في التحذيرات والتحديات فسوف يزيد تواضعنا وتقل رغبتنا في إدانة الآخرين. ينبغي أن نتذكر على الدوام أن الروح القدس وما سجلّه في الكتاب المقدس ـ وليس المنبر ـ هو مصدر سلطان الواعظ.

ربما نتحدث بسلطان بوضعنا وعاظاً. لكن علينا أن نحذر لئلا نكون

مستبدين أو مُطلقين في أحكامنا؛ بمعنى أن نستطيع أن نتحدث بقوة وثقة بسبب الكلمة التي نعظ بها لكن ينبغي ألا نعامل السامعين وكأنهم مضطرون لإطاعة كل ما نقول طاعة عمياء. من حقنا أن نسعى لإحداث تجاوب روحي للكلمة التي نعظ بها ولكن ليس لنا الحق في إجبار الآخرين على قبول آراءنا الشخصية.

كذلك ينبغي ألا نحاول إثارة الشعب أو إخافته في محاولة للوصول إلى تجاوب معين، وإنما علينا أن نحاول توضيح المعنى البين للكتاب المقدس ونشرح ما يتفق معه من تطبيقات عملية. قد لا يستسيغ هذا النوع من الوعظ أولئك الذين يبحثون عن التسلية ولكن سيكون له تأثير طويل المدى ومستمر عند معظم الأشخاص. سيحترم أغلبية الذين يحضرون اجتماعات الكنيسة عظة تساعدهم على فهم الكتاب المقدس على نحو أفضل.

أولاً المعنى، ثم يأتي التطبيق

إن المسئولية الأساسية التي تقع على عاتقنا في تعليم الكتاب المقدس هي أن نستوعب الجزء الكتابي الذي نتناوله وننقل ما نفهمه للسامعين. بالطبع نريد أن نقدم رسالة تحمل فائدة رعوية للسامعين غير أنه ينبغي ألا نغفل واجبنا وهو توضيح معنى الفصل الكتابي في سياقه التاريخي. كما ينبغي أن يتوافق كل تطبيق مع الغرض الكتابي لكاتب الوحي؛ إذ ينبغي أن نجعل الكتاب يقول ما يريد أن يقوله بغض النظر عن تفضيلنا الشخصي.

بمجرد أن يفهم الناس الكلمة المقدسة فهماً جيداً سوف يكتشفون مدى تأثيرها على حياتهم. فرغم أنها تحتوي على وصف لأحداث وقعت في الماضي البعيد فهي فعالة وحية اليوم (عب ٤ : ١٢) . في كل حقبة من حقب التاريخ يعمل الكتاب المقدس عمله الفريد في حياة البشر، ومازال يتكلم، ليس من منطلق أن كل آية تحتوي على رسالة خاصة لكل مؤمن وإنما أن كلام الإله الحي يعلن حقائق يمكن أن تعلم البشر في أي جيل.

غير أنه ليس كل الذين يسمعون شرحاً للنص الكتابي سيكونون متيقظين بقدر ما يتمنى الوعاظ بل قد لا يستطيعون رؤية أوجه تطبيق كلمات الكتاب المقدس على حياتهم. عندما نعظ ينبغي ألا نكتفي بشرح النص الكتابي وإنما نساعد سامعينا بطرح اقتراحات بشأن قيمة النص بالنسبة لهم. غير أنه ينبغي ألا نفرض على النص دروساً مهما اعتقدنا أن السامعين في حاجة لهذه الدروس. ينبغي أن نخضع للكتاب المقدس لا أن نملي عليه ما يقول.

إن تفسير الكلمة المقدسة تفسيراً سليماً أهم بكثير من اتباع تقنيات وعظ سليمة. لكن هذا لا يعني أن علينا تجاهل التدريب والنصائح المتعلقة بالجوانب العملية من الوعظ (ستجد المزيد عن هذا الأمر في الفصول التالية) لكن علينا أن نتذكر أن المضمون هو المعيار الأول الذي يحدد قيمة وعظنا.

الكتاب المقدس ينفتح للرؤية

كانت العادة في المجمع اليهودي أن تُقرأ الكلمة المقدسة وتقدم منها عظة توضحها على نحو يساعد السامعين على فهمها. أحياناً ما يشار إلى هذا الأسلوب باسم الوعظ التفسيري. والتفسير Exposition يعرض الكلمة المقدسة حتى يستطيع الآخرون إدراك معانيها. ويبدو أن هذا هو ما فعله الرب يسوع في المجمع في الناصرة (لو ٤ : ١٦ ـ ٢١)، وما فعله بولس الرسول في المجمع في أنطاكية (أع ١٣ : ١٤ ـ ١٦). لقد شرحا الكلمة المقدسة حتى يفهم السامعون معناها ويدركوا قيمتها.

اتبعت الكنيسة الأولى تقليد المجمع ولكنها أضافت كتابات الرسل إلى أسفار العهد القديم. قبلت الكنيسة تعاليم الرسل وحسبت لها السلطان نفسه الذي «للكتب الأخرى» (١كو ١٤ : ٣٧؛ ١تس ٥ : ٢٧؛ ٢بط ٣ : ١٥ ـ ١٦). ولذا أصبح كل من شرح الكلمة المقدسة وتعليم الإيمان المسيحي وتطبيقه العنصرين الرئيسيين للوعظ في الكنيسة الأولى (٢تس ٢ : ١٥؛ ١تيمو ٤ : ١٣؛ ٢تيمو ٢ : ٢، ١٥). وينبغي أن يكون هذا هو الحال اليوم؛ إذ لابد أن يكون الوعظ الكتابي سواء عن سفر أو جزء منه وعظاً تفسيرياً فهو يفتح الكلمة المقدسة ليراها السامعون لأنه يستخلص المعنى.

لا يعني الوعظ التفسيري (في حالة الجزء الكتابي) أنه ينبغي أن نتناول النص الكتابي آية تلو الأخرى أو كلمة تلو الأخرى كما لو كنا نقرأ قاموساً أو كتاباً دراسياً على مسامع الناس. ولا يعني (في حالة تناول موضوع ما) أن علينا قراءة آيات منفصلة كما لو أن هدفنا الوحيد

هو الوصول إلى براهين كتابية تؤيد أفكارنا. وإنما الوعظ التفسيري يعني أن الكتاب المقدس رسالة. ينقضي معظم وقت الوعظ في التعامل مع الكلمة المقدسة. قد تشغل التحديات والتحذيرات والتوبيخ والتشجيع جزءاً من الوقت ولكن ينبغي أن يكون جزءاً صغيراً تكمن القوة في الكتاب المقدس وليس في الواعظ.

الربط بين الماضي والحاضر

رغم أن السامعين قد يريدون معرفة معنى أقوال الكتاب المقدس لقرائه الأصليين إلا أنهم يريدون أن يعرفوا كيف يمكن أن يساعدهم الكتاب المقدس في حياتهم. ولذا إلى جانب تمسكنا بالأمانة في توضيح السياق الكتابي عند شرح الكلمة المقدسة فلابد أن يكون مرتبطاً بالحياة اليومية للسامعين.

هذا يعني أننا عندما نعظ ينبغي ألا نكتفي بفهمنا للكتاب المقدس وإنما يكون لدينا معرفة جيدة لاحتياجات الحياة المعاصرة وتياراتها ومشكلاتها وغير ذلك من القضايا. ينبغي أن ندرك ما يشعر به الناس ويفكرون فيه، ونكون قادرين على التكلم إليهم بلغة عادية من الحياة اليومية. ينبغي أن يرتبط الوعظ بالعالم الذي يعيش فيه البشر.

لن يقدم الكتاب المقدس حلاً قاطعاً لكل مشكلة يواجهها البشر في عالم اليوم؛ فلن يخبرنا مثلاً بالمكان الذي ينبغي أن نعيش فيه، أو الوظيفة التي نعمل بها، أو كيف ينبغي أن نوجّه أموالنا.. لكن البشر في

أزمنة الكتاب المقدس واجهوا مثل هذه المشكلات ـ العمل والزواج والأسرة والمرض والفقر والظلم والسياسة والجريمة وهلم جرا، وقدم كتّاب الوحي الكثير لحل هذه المشكلات. عندما نوضح في نص كتابي ما قاله الله عن مثل هذه الأمور في أزمنة الكتاب المقدس يمكننا أن نقدم تعليماً مع إرشادات ترتبط بمجتمع الوقت الحاضر.

يحافظ هذا النوع من الوعظ على المعنى الحقيقي للكلمة المقدسة ويربطه بالوقت الحاضر كذلك يتجنب العديد من الأخطاء من بينها قراءة الكتاب المقدس كمجرد وثيقة تاريخية لا تختلف عن أية وثائق قديمة أخرى. من الأخطاء الأخرى تجاهل معنى الكلمة المقدسة لقرائه الأصليين لكي نجد حلاً لأية مشكلة نواجهها. غير أنه من الأخطاء الأخرى هو أن نركّز على الجوانب الروحية للمسيحية واعتبارها مبرراً لتجاهل حقائق الحياة اليومية. لاشك أن الكتاب المقدس يقدم التشجيع الروحي وسط الصعوبات غير أنه لا يحرضنا على التفكير في مستقبلنا المجيد كسبيل للهروب من مسئوليات الحاضر، والتي تشكل فرصة للشهادة لحق الإنجيل في عالمنا المعاصر وبتعبير آخر؛ أن نقدّم الإنجيل المعاش.

أهداف طويلة المدى

للوعظ التفسيري فائدة إيجابية علاوة على مساعدة الناس على تجنُّب أخطاء معينة فهو يساعدهم على رؤية الحياة من منظور الإيمان. يريد

المؤمنون أن يعرفوا كيف يتعاملون مع المشكلات التي يواجهونها في العالم وسيصبحون مؤهلين لذلك من خلال التعلّم كيف يفكرون «بالإيمان». ستغير معرفتهم بالكتاب المقدس أسلوب تفكيرهم، وسيتغيرون بتجديد أذهانهم، وهكذا يعرفون مشيئة الله من نحوهم في الظروف المختلفة التي يواجهونها (رو ١٢ : ٢).

تتفاعل الكلمة المقدسة باستمرار مع أولئك الذين يدرسونها فتغير ما لديهم من قيم لتصبح أكثر شبهاً بالمبادئ والقيم الإلهية وتؤثر على قراراتهم حتى ترضي الله. ونستطيع كوعاظ أن نساعد على تفعيل هذا التغيير عن طريق تناول أسفار من جميع أجزاء الكتاب المقدس وبهذا نقدم للشعب رؤية أوسع لعمل الله وتعاملاته مع البشر.

أحياناً ما نسمع البعض يقولون «نريد وعظاً يناسب حياتنا المعاصرة، نريد شيئاً يساعدنا في حياتنا اليومية». هذه رغبة جديرة بالاهتمام، ولكنها تنطوي على خطورة خفية. ربما نهتم اهتماماً كبيراً بالوعظ عن أمور لها علاقة مباشرة بالوقت الحاضر لكن هذا يحصرنا في الأجزاء الكتابية التي يبدو أنها تسدد تلك الاحتياجات. هذه رؤية ضيقة الأفق لأنها تُحرّض المؤمنين على الاكتفاء بالتركيز على احتياجات الساعة وغالباً ما يكون هذا على حساب تنمية جميع الجوانب، وهو أمر ضروري للحياة الإيمانية الصحيحة.

وكشرح لهذه الفكرة لنفترض مثلاً أني أثناء قراءتي للكتاب المقدس تأثرت بجزء حول موضوع الألم الجسدي. لماذا يصيب أولئك الذين

يبدو أنهم لا يستحقونه، وكيف يتعامل البشر مع آلامهم، وفرص حدوث معجزات شفاء، وغير ذلك من الأمور المشابهة. قد لا أجد ارتباطاً مباشراً لهذه الأمور بحياتي، وربما تبدو الأسئلة الصعبة التي تدور حول الألم الجسدي إلى حد كبير أسئلة نظرية بالنسبة لي.

لكن لا أحد يعلم ماذا يحمل المستقبل. لنفترض أن تغييراً مفاجئاً طرأ على حالتي الصحية، أو وقع لي حادث أدى إلى إصابتي بالشلل، أو أصيب شخص عزيز على قلبي فجأة بمرض مميت. فإذا أغفلت الأجزاء التي تبدو غير مناسبة لظروفي في وقت ما فلن أكون مستعداً للتعامل مع الظروف المقاومة حينما تحدث. كانت رغبتي في أن يناسب التعليم ظروفي رغبة ضيّقة الأفق وأنانيّة. بالإضافة إلى عدم إعداد نفسي لمواجهة المستقبل فإني لم أعد نفسي لمساعدة الآخرين.

ينبغي ألا نعامل الكتاب المقدس وكأنه مجرد عدة مساعدة صممت للتعامل مع المشكلات الطارئة والملحّة. صحيح أنه يستطيع تقديم معونة مذهلة في أوقات الأزمات غير أن أكثر الصور الكتابية الشائعة هي أنه غذاء، إنه شيء يقوي الجسد ويبنيه حتى يصل الشخص إلى مرحلة النضج السليم (١كو ٣: ٢؛ عب ٥: ١٢ - ١٤؛ ١بط ٢: ٢).

إذا تغذى الناس على وجبة ما من الوعظ تقتصر على الموضوعات الجارية فإنها ستحد النمو الروحي، وبهذا يتعثرون في أزمة تلو الأخرى بدلاً من التقدم نحو حياة إيمان قوي وناضج. من المسئوليات الملقاة على عاتق الوعاظ هو أن يجهزوا السامعين ويقووهم ويبنوهم (١كو ٣:

١٠؛ ١٤ ، ٥ ، ٢٠ ، ٢٦؛ أف ٤: ١١ ـ ١٦). يقول المثل القديم الحكماء يذخرون معرفة (أم ١٠: ١٤) والوعاظ الحكماء يساعدون السامعين على بناء أرضية من المعرفة الكتابية التي يمكن أن يكتسبوها أثناء سيرهم في الحياة.

(٥)
إعـــداد العظـــة

الوعاظ بوصفهم متعلمين

إذا أردنا أن نعلم الآخرين فلابد أن نكون متعلمين في المقام الأول. ينبغي أن نكون دارسين منتظمين للكتاب المقدس ذوي معرفة جيدة بكل سفر أو موضوع كتابي نُعلِّم عنه. غير أنه ينبغي ألا تقتصر دراستنا للكتاب المقدس على تحضير العظات. يجب أن تكون دراستنا للكتاب المقدس دراسة منتظمة سفراً تلو الآخر وموضوعاً تلو الآخر سواء كانت المادة التي ندرسها سوف تستخدم في عظة أم لا. حينئذ عندما يحين الوقت لإعداد عظة لن نواجه صعوبة في جمع معلومات كافية إذ نجد بحوزتنا معلومات غزيرة لدرجة أننا نجد صعوبة في تحديد المعلومات التي نستطيع الاستغناء عنها.

ينبغي ألا يقتصر الإعداد للعظة على الدراسة المنتظمة المتناسقة وإنما اختبار شخصي لها وصلاة. ومثل وعاظ الله في الأزمنة القديمة ينبغي أن نجعل كلمة الله أمامنا قبل أن نقدمها للآخرين. ينبغي ألا نقدم ما لا يمثل لنا الكثير بشكل شخصي.

عندما استخدم الله حزقيال النبي ليتكلم إلى شعب إسرائيل كان لابد

أن ينفّذ حزقيال العمل الرمزي بأكمله للدرج الذي يحتوي على كلمة الله. صارت رسالة الله رسالته فنادى بها باعتقاد وشعور (رؤ ١٠: ٨ـ ١١)، وعلى نحو أو آخر ينبغي أن يكون اختبار جميع الوعاظ اليوم اختباراً مشابهاً. ينبغي أن تحيا كلمة الله فينا حتى تصبح رسالته رسالتنا. كذلك يجب أن تكون لدينا ـ مثل إرميا رغبة متقدة لإعلانها للآخرين لدرجة أننا لا نستطيع أن نمسكها (إر ٢٠: ٨ ـ ٩).

الهدف العملي

إذا آمنا بالفعل بما نقول فسرعان ما سيلاحظ الآخرون ذلك، وستزيد فرصة تنفيذهم لما يسمعون منا. لذا ينبغي أن يكون هدفنا الأول أن نقدّم لهم بوضوح ما تعلّمه كلمة الله ثم نوضّح لهم سبل تطبيقها على حياتهم. ينبغي أن يكون هذا هو هدفنا العام ومن خلاله نستطيع التعامل مع موضوعات محددة رغم أنها ستتوقف على احتياجات الموقف والسامعين.

هذا يذكّرنا بأننا ينبغي أن نقرأ بقدر المستطاع ولا تقتصر قراءتنا على المادة الكتابية بل نقرأ مادة علمانية أيضاً. من خلال الصحف والكتب والحوارات والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية نستطيع فهم القضايا التي تهم الناس على نحو أفضل.

لكل جمهور احتياجات تختلف عن غيره قد تختلف طريقة تعاملنا مع سفر أو موضوع كتابي من جمهور لآخر. لذا علينا قبل إعداد أية عظة أن نجمع أكبر قدر من المعلومات عن تكوين الجمهور الذي نخاطبه

وحجمه وبهذا نستطيع أن نحدد كيفية معالجة الموضوع، والمستوى الذي نتوقعه من الفهم، والمعوقات التي نتوقعها. وليس الهدف من التكيف مع الجمهور هو كسب رضاهم بقول أشياء يريدون سماعها وإنما ضمان التعامل مع الموضوع بطريقة مفهومة ومرتبطة بحياتهم.

البداية

سواء كانت تتناول العظة موضوعاً أو تشرح جزءاً كتابياً فلابد أن يشتمل الإعداد على قراءة المادة الكتابية عدة مرات وتأملها. ودائماً ما تكون نقطة البداية هي الكتاب المقدس ويجدر بنا أن نقرأ الترجمات المتاحة، كما نقرأ كتابات المعلمين الذين جعلوا ثمر مجهوداتهم متاحاً في هيئة تفاسير وكتب مفيدة أخرى.

عندما نقرأ هذه الكتب يُفضل أن نضع علامات حول تلك الأجزاء التي تزودنا بمعلومات وأفكار مفيدة. فإذا لم نكن ممن يفضلون وضع علامات في الكتب يمكن استخدام قلم رصاص خفيف حتى يمكن إزالة أي آثار فيما بعد.

كما يفضل أن نحتفظ في كل الأوقات بأوراق لتدوين الملاحظات التي نسجلها أثناء قراءتنا للكتاب المقدس وكذلك الأفكار التي تخطر بالبال بينما نصلي ونقرأ ونتأمل الموضوع. كذلك يمكن استخدام هذه الورقة لتسجيل بيانات تحتوي على معلومات مفيدة (مثل عنوان الكتاب أو المقال واسم المؤلف أو الناشر والتاريخ وأرقام الصفحات). يمكننا في

وقت لاحق أن ننقل هذه التفاصيل إلى فهرس مما سوف يساعدنا في المستقبل على العثور على مادة مفيدة.

ربما يفضل عمل فهرس لمادة مرتبة حسب الشواهد الكتابية (أي اسم السفر الكتابي والأصحاح والآية) وفهرس آخر مرتب هجائياً حسب الموضوعات (تلميذ، مجمع، الروح القدس، الغفران). يمكن بالقليل من التنظيم والعناية أن تزداد المادة الموجودة في هذا الفهرس بسرعة. غير أن هذا سوف يتطلب إعادة تنظيم يتوافق مع اتساع قاعدة معلوماتنا التي ستمثل بدورها مصدراً هاماً للمعونة يتوافق مع اتساع نطاق خدمتنا.

سنكتسب من ساعات القراءة للكتاب المقدس والمصادر المناسبة الأخرى معلومات عن الموضوع الذي سنعظ عنه. غير أن الفهم والثقة لا يأتيان من مجرد جمع المعلومات إذ علينا أيضاً أن نقيّم المعلومات ونحدد مدى دقتها ونفعها.

إذا بدأنا هذا الإعداد التمهيدي قبل أسابيع أو حتى شهور من تقديم العظة سنستفيد فائدة عظيمة إذ سيكون لدينا متسع من الوقت لفحص المادة فحصاً جيداً. في بعض الأحيان نقرأ عبارة أو إعلاناً يبدو جذاباً أو متميزاً إلا أن الاندفاع في تضمينه في العظة ينطوي على خطورة ما. لذا قد نكتشف بعد مزيد من التقييم أنه إعلان غير دقيق أو غير متوازن وبالتالي فهو ليس نافعاً كما ظننا في البداية.

البدء في الكتابة

بعد إجراء بعض الاستعدادات عن طريق القراءة والتأمل حول الموضوع بصفة عامة علينا بعد ذلك اختيار المادة التي نريد استخدامها في العظة والقيام بجمعها. قد نكتشف أثناء القراءة أفكاراً وجوانب يمكننا تسجيلها لتكون جزءاً من العظة. عادة ما يكفي اثنان إلى ستة عناوين (أفكار رئيسية). إذا لم تتضح لنا أي عناوين أو أفكار رئيسية فربما نحتاج إلى صياغة تسلسل منطقي لجوانب الموضوع، ليس هناك أسلوب سري يجعلنا قادرين على تقسيم العظة إلى أقسام أو عناوين ولكننا إذ نتأمل المادة التي تجمعت لدينا ستبرز الأفكار الرئيسية بطريقة أو بأخرى.

عندما ننقل ثمار دراستنا إلى مضمون العظة ينبغي أن ندوّن بأسلوبنا ما وصلنا إليه من نتائج وملاحظات. وفي إطار هذا سوف نستعين ببعض المعلومات التي وضعنا عليها علامات في المصادر التي استعنّا بها. ربما لا نستخدم كل معلومة توصّلنا إليها. وهذا ربما لأنها لا ترتبط ارتباطاً مباشراً بالموضوع، أو لأننا أصبحنا نشك في صحتها من واقع دراستنا الموسعة. ونستطيع من خلال استخدام بعض المعلومات وإغفال البعض الآخر أن نمحو العلامات التي وضعناها وإعادة الكتب إلى الأرفف الخاصة بها. وهكذا تصير لنا حرية العمل على المادة بإعادة الترتيب أو الحذف أو الإضافة أو الشرح بأسلوبنا وكلماتنا بدون الرجوع مرة أخرى إلى المصادر.

رغم أننا نستفيد من كتابات آخرين فإنه ينبغي ألا نكتفي بمجرد

ترديدها إذ ينبغي أن تستمد العظة طابعها وهدفها ووحدتها وتركيزها من فهمنا الروحي لما قرأناه وفي اختبارنا العملي، إذا أردنا أن يكون لعظاتنا ثقل عند السامعين فلابد أن تخرج من القلب. فالعظات المحفوظة والتي لم يختبر الواعظ تأثيرها في حياته؛ تفقد تأثيرها الروحي وحرارتها.

ينبغي أن نحترس لئلا نحشو العظة أكثر من اللازم، ففي بعض الأحيان نشعر بالحماس حول موضوع ما ندرسه فنميل إلى تقديم كل ما توصلنا إليه إلى السامعين. غير أنه من الممكن ألا تستهويهم كل التفاصيل التي اكتشفناها. لذا، ينبغي أن نحصر أنفسنا في أكثر الأمور إفادة لهم في الوقت المحدد للوعظ.

كلما زادت المادة التي نجمعها كان ذلك أفضل حيث أن الدراية الكافية بالموضوع الذي نتكلم عنه يمنحنا الثقة حينما نعظ. غير أننا لسنا مضطرين إلى استخدام المادة كلها التي توصلنا إليها في بحثنا. فمثلاً إذا كانت المادة التي نقدمها في العظة تمثل ربع ما توصلنا إليه، فمن الأرجح أن نشعر بالثقة في معرفتنا للموضوع وبالتالي سنشعر بمزيد من الارتياح والاطمئنان حينما نعظ عنه.

قيمة الكتابة

تختلف اللغة المنطوقة عن اللغة المكتوبة. فليس الهدف من التحضير المكتوب صياغة صورة كلامية كاملة للعظة يمكن حفظها (وهو أمر

غير مرغوب فيه بل وغير ممكن لمعظم الناس)، وإنما توضيح أفكارنا. إذا لم نستطع تدوين فكرة ما أو نصفها في قالب لغوي بسيط يمكن لأي شخص فهمه فربما لم نفهم الفكرة فهماً جيداً. لذا ينبغي أن نجد طريقة لتقديم صياغة واضحة وبسيطة بقدر الإمكان لكل ما نريد توصيله لمستمعينا.

بصفة عامة لا نحتاج إلى استخدام كلمة صعبة طالما بإمكاننا استخدام كلمة أسهل. يمكننا مثلاً استخدام كلمة «نتبع» بدلاً من «نقتفي أثر»، وكلمة «نبدأ» بدلاً من «نستهل»، وكلمة «درس» بدلاً من «عبرة». غير أن تعبيرات الواعظ ينبغي أن تكون دقيقة ومتنوعة. يفضل أن نعد أنفسنا بإقتناء معجم جيد وإن أمكن كتب تتناول استخدامات الكلمات ومعانيها.

يفضل أن تكون عباراتنا بسيطة وليس معقدة، وأسلوبنا واضحاً وليس معنوياً، وتعبيراتنا عملية وليس أكاديمية. من الأفضل مثلاً أن نقول «ينبغي أن نقول الحق دائماً» بدلاً من أن نقول «الحق خاصية ضرورية». كذلك يجدر بنا الاجتهاد لإيجاد طرق لتوضيح الألفاظ الكتابية التي كثيراً ما يسمعها الشعب في الكنيسة ولا يعرفون معانيها، يمكن استخدام مرادفات بسيطة لتوضيح مثل هذه الألفاظ. لا يمكن تجنب كلمات مثل «الخطية» و «الخلاص» لكن لابد أن نتأكد من أن الشعب يفهم ما نقصد حينما نستخدم هذه الكلمات.

ينطبق هذا الاحتياج إلى الإيضاح بصورة أكبر على كلمات مثل

«التبرير» و «الفداء» لكن بمجرد أن نوضحها يمكننا الاستعانة بكلمات أو عبارات بديلة. إذا توفر مرادف معاصر دقيق مفهوم لكلمة قديمة فمن المفضل أن نستخدم اللفظ الحديث بقدر الإمكان؛ على سبيل المثال نستخدم «الطبيعة الخاطئة» بدلاً من «الجسد».

ستتيح الكتابة الفرصة لنا لننتبه إلى الكلمات غير الضرورية التي نستخدمها أحياناً في الحديث وسوف تساعدنا على التخلص منها. ستساعدنا الكتابة على التفكير النقدي تجاه أنفسنا وكذلك في صراعنا المستمر للتقليل من اللغة الوعظية النمطية. أصبحت بعض الكلمات والتعبيرات جزءاً من أسلوب الخطابة الذي نسمعه في الكنيسة ولكن نادراً ما نسمعها في عالم الحياة اليومية مثل «كفارة عنا»، «الرب يبارك ميراثه»، «ننحصر بالروح» يفضل بقدر الإمكان أن نستخدم كلمات يألفها الناس بصفة عامة. وإذا ورد شيء منها في نصوص الكتاب المقدس نشرحها لهم بلغة يفهمونها بعد أن نذكر النص الأصلي بدون تعديل.

تطبيق التعليم

ينبغي أن يكون الهدف المزدوج للعظة هو تقديم التعليم الكتابي للسامعين وتوضيح قيمته بالنسبة لحياتهم. عادة ما يشار إلى قيمة التعليم بتعبير «التطبيق» وفيه يطبق الواعظ التعليم على مواقف من الحياة اليومية للسامعين. يقدم الواعظ الدرس أو التحدي أو النموذج الذي يتناسب مع حياة الحاضرين.

لذا فعندما نعظ يجدر بنا أن نبحث عن فرص لتطبيق الحق الكتابي باستمرار على مدار العظة. لا يعني هذا أن علينا فرض تطبيق ما على ما جاء في العظة، ولا يعني أيضاً أن نذيل كل إعلان أو شرح كتابي بتطبيق. ولكن إذا قمنا بشرح الكلمة المقدسة شرحاً جيداً فإن التطبيقات ستكون واضحة أمام السامعين على نحو طبيعي بل إنهم قد يتساءلون كيف أنهم لم يلحظوا هذه التطبيقات من قبل.

عادة ما يصبح للتطبيقات فعالية أكبر حينما نصيغها في تعليق مختصر أو سؤال قصير من واقع المادة الكتابية (مثل... ويبدو لي أن السؤال الذي يسأله صفنيا سؤال نطرحه على أنفسنا اليوم...) ينبغي أن نتعامل مع سامعينا من منطلق أنهم يملكون القدر الكافي من الذكاء للوصول إلى نتائج بأنفسهم. أما إذا بالغنا في توكيد ما أعلناه بالفعل فقد يتأثر الجمهور على نحو عكسي لما نأمل. ينبغي أن نحترس لئلا نسيء إلى سامعينا بأن نتكلم إليهم «من علياء».

يفضل بقدر الإمكان أن نقدم أمثلة توضيح كيفية تطبيق ما يحثنا عليه النص الكتابي في الحياة اليومية. هذا ما فعله الرب يسوع في (مت ٢٥: ٣٤ ـ ٤٥) حينما أوضح أن الخدمة التي يطالبنا بها هي إشباع الجوعى وكساء المساكين، وإضافة الذين يشعرون بالوحدة، ومساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة، وهذا ما فعله أيضاً في (لو ١٠: ٢٧ ـ ٣٧) في إجابته على سؤال طرحه معلم للناموس عن معنى كلمة «قريب». روى يسوع قصة السامري الطيب القلب ثم قال للرجل «اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا».

هكذا قدم وعاظ القرن الأول تطبيقات عملية على المبادئ التي علّموها. فعندما علم يعقوب الرسول المسيحيين ألا يكونوا محابين في معاملتهم للآخرين أكدّ الفكرة بعرض مثال توضيحي للسلوك الخاطيء. كانوا يحتقرون من لا يحظون باحترام اجتماعي ولكنهم يرحبون ترحيباً خاصاً بالأغنياء (يع ٢ : ١ ـ ٧). وعندما علّم يوحنا الرسول قارئيه أن يحبوا أخوتهم المؤمنين أوضح أن هذا معناه تقديم الأشياء والمال لمن هم في احتياج (١يو ٣ : ١٦ ـ ١٧).

يجدر بالوعاظ في الوقت الحاضر أن يحتذوا بمثال وعاظ القرن الأول. ينبغي أن نبتكر طرقاً معاصرة لتطبيق الكلمة بينما نعلمها. سيساعدنا هذا على تجنب الميل إلى التطبيقات التي نفضّل استخدامها والتي استخدمها كثيرون قبلنا، وهي تطبيقات بدأت تفقد ارتباطها بواقع حياتنا اليومية.

الاستعانة بالأمثلة التوضيحية

علاوة على ما تقدمه الأمثلة التوضيحية من راحة للسامعين فهي تحافظ على ارتباط العظة بواقع الحياة اليومية. غير أنها لابد أن تكون مناسبة للنص أو التعليم الكتابي الذي نحن بصدده. كما نقول كقاعدة إن هذه الأمثلة لابد أن توضح فكرة واحدة فقط. إذا حاولنا استخلاص الكثير من النقاط الرئيسية من مثال إيضاحي واحد فربما نجد أنفسنا في ورطة. توضح الأمثلة الإيضاحية المأخوذة من العهد الجديد والتي ذكرناها أعلاه أنه يمكننا تقديم مثال ثم استخلاص مبدأ معين منه في

حين آخرون يعلنون المبدأ ثم يقدمون المثال الإيضاحي.

يجدر بنا مقاومة الميل إلى سرد قصة ما لمجرد أنها مسلية فربما تجذب القصة انتباه السامعين ولكنها تفسد العظة ككل. إذا استطاع الشعب تذكر قصة ما ولكن لم يتذكروا الفكرة التي توضحها هذه القصة فقد فشلت القصة في تحقيق الهدف منها. في هذا الشأن ينبغي أن نتوخى الحذر لئلا نختار القصص الغريبة أو المثيرة للمشاعر. كلما زاد ما تحتويه القصة من انفعال وعاطفية بعيداً عن الهدف الأصلي للعظة قل اتصالها بواقع الحياة اليومية، وبالتالي تقل فرص رؤية الشعب مدى ارتباط القصة بحياتهم.

بعض أمثلة من العهد القديم

إذا أمضينا معظم وقت العظة في شرح النص الكتابي فستكون حاجتنا للأمثلة الإيضاحية أقل مما نتصور وهذا لأن الكتاب المقدس نفسه حافل بالأمثلة ومواقف الحياة الواقعية، ولغته لغة تصويرية.

وعلى سبيل المثال فإن الأحداث التاريخية في الكتاب المقدس ترتبط بأمور من واقع الحياة وغالباً ما تحفل أحداثها بالإثارة والبيان. إن المادة الكتابية نفسها مادة بسيطة للغاية لدرجة أننا لا نحتاج إلى البحث في مكان آخر عن أمثلة لتجسد ما جاء فيها.

حتى سفر المزامير الذي يحتوي على بعض من أسمى التعبيرات عن الخشوع الروحي يعد سجلاً حافلاً بالصور المأخوذة من الحياة

العادية، ومعظم هذه الصور يقبل التخيل ـ مجموعة من الناس يتكلمون (مز ١ : ١) ، أشجار تنمو عند مجرى النهر (مز ١ : ٣) ، عصافة تذريها الريح (مز ١ : ٤) ، متمردون يتآمرون على الإطاحة برئيس (مز ٢ : ٢) ، قيود تتحطم (مز ٢ : ٣) ، إناء خزفي يكسَّر (مز ٢ : ٩) ، وهلم جرا آية تلو الأخرى، ومزمور تلو الآخر.

نجد في أسفار الحكمة صوراً وأمثلة إيضاحية أكثر بياناً وتنبض بمزيد من الحياة، ففيها نقرأ عن عاهرة تنسج فخاً لشاب (أم ٧ : ٦ ـ ٢٣) ، إمرأة ثرية تعد وليمة (أم ٩ : ١ ـ ٦) ، وشخص يثير المشاكل في المنطقة التي يعيش فيها (أم ٢٦ : ١٧ ـ ٢٥) . سنجد أمثلة إيضاحية تشير إلى أشياء معتادة للغاية مثل نصب فخ لطائر (أم ١ : ١٧) ، والتحدث عن الطقس (أم ٢٥ : ١٣ ـ ١٤) ، وإذاعة إعلانات في الشوارع والأسواق (أم ١ : ٢٠ ـ ٢٢) .

كان أنبياء العهد القديم وعاظاً وكانت عظاتهم مفعمة بالحياة والوضوح. فمن المعتاد أن يحتوي الأصحاح الواحد على عدد من الصور ـ حيوانات الحقل (إش ١ : ٣) ، شخص مريض (إش ١ : ٥ ـ ٦) ، بلد مدمر (إش ١ : ٧) ، مظلة في حقل نباتات (إش ١ : ٨) ، مدينة محاصرة (إش ١ : ٨) ، احتفالات دينية (إش ١ : ١١ ـ ١٥) ، الاستحمام (إش ١ : ١٦ ـ ١٨) ، أرامل، وأمراء، ولصوص (إش ١ : ٢١ ـ ٢٣) ، تنقية المعادن (إش ١ : ٢٢ ، ٢٥) ، أشجار ميتة (إش ١ : ٣٠) ، نفاية محروقة (إش ١ : ٣١) .

لا تكتفي أمثلة العهد القديم بتذكيرنا بمدى حاجتنا إلى ربط الرسالة التي نقدّمها بالعالم من حولنا، وإنما تثبت لنا أننا إذا شرحنا الكلمة المقدسة كما هي مكتوبة فسوف تحفل عظاتنا تلقائياً بأمثلة من الحياة اليومية. لا نحتاج إلى البحث عن صور إيضاحية لإحياء عظاتنا فهذه الصور موجودة بالفعل في الكتاب المقدس نفسه.

ينبغي أن ننمي عادة استخدام خيالنا لتخيل الصور التي رسمها كتاب الوحي على الورق. فعندما نصف تلك الصور ونوضح قيمتها ومعناها فإن سامعينا سيجدون كلمة الكتاب المقدس تنبض بالحياة أمامهم. ولن نحتاج كثيراً إلى البحث عن أمثلة أو قصص إيضاحية لجذب انتباه السامعين لأن الكتاب المقدس سيفعل ذلك بالنيابة عنا. وبدلاً من محاولة إمتاع السامعين بالقصص أو مطاردتهم بالنقد يمكننا عن طريق شرح الكتاب المقدس أن نفتح لهم الباب لرؤية ما فيه ثم ترك الفرصة للكتاب ليتحدث عن نفسه.

يسوع وكتّاب العهد الجديد

عندما نأتي إلى العهد الجديد نجد أن الرب يسوع استخدم الصور البيانية باستمرار. سنساعد سامعينا على فهم تعليم الرب يسوع إذا استخدمنا نحن أولاً خيالنا لتصور ما كان الرب يسوع يشير إليه. وبدلاً من أن نجعل تعليم الرب يسوع أكثر تجريداً فيجدر بنا أن نجعله ملموساً وأكثر قابلية للتطبيق. فينبغي أن نستخدم تعليم الرب يسوع على نحو يصبح فيه مادة عظاتنا الشخصية.

إذا تحدث الرب يسوع عن امرأة تصنع عجيناً (مت ١٣ : ٣٣) أو فلاح يقوم بتنظيم عمله (مت ٢١ : ٣٣ ـ ٤١) فعلينا أن نكون قادرين على جعل السامعين يتخيلون المشهد. ربما تريد الوصول بالسامعين إلى درس روحي لكننا لا نحتاج إلى فصل حديث الرب يسوع عن الواقع الذي عاشه. ينبغي ألا تكون دروسنا الروحية دروساً مصطنعة وإنما تنبثق من واقع حياة الرب يسوع. انتقل الرب يسوع بصفة عامة بين فئات البشر نفسها التي يمكن أن نقابلها اليوم في المنطقة التي يعيش فيها كل منا.

إن كلمات الإيمان المسيحي نفسها مستمدة من الأشياء العادية في واقع الحياة اليومية. ترجع خلفية تعاليم بولس عن التبني إلى ما اعتاد الأبوان اللذان لا ينجبان عمله حينما يجعلان شخصاً جديراً بالثقة ابناً لهما ويعطياه جميع امتيازات الشخص والوريث البالغ (غل ٣ : ٢٦ ؛ ٤ : ٤ ـ ٦). عندما يقدم الكتاب المقدس الحق المسيحي فعادة ما يميل إلى استخدام كلمات تصويرية أو بيانية في وصف العبارات اللاهوتية المجردة.

بالمثل نستطيع اليوم التواصل مع سامعينا حتى أثناء تعليم العقيدة بالاكتفاء بشرح الصور الكتابية. إذا وجدنا ضرورة للاستعانة بمزيد من الأمثلة الإيضاحية فبإمكاننا تقديم أمثلة مشابهة من الحياة المعاصرة. غير أنه أثناء ذلك ينبغي أن نتذكر أن أفضل الأمثلة وأكثر فعالية عادة ما تكون أمثلة تناظرية أو مناظرة وليس قصصاً بمعنى أنها صور تشابه

بعضها البعض وليست سرداً لأحداث فعلية. يعد العديد من الأمثلة الإيضاحية أمثلة مناظرة، فمثلاً يأتي مثل العهد الجديد عن الفداء من فكرة العبودية. كما يدفع الشخص ثمناً ليعتق شخصاً من العبودية هكذا دفع يسوع المسيح بموته الثمن ليعتق المؤمنين من عبودية الخطية (غل ٣: ١٣؛ ٥: ١؛ ١بط ١: ١٨ ـ ١٩).

يبدو أن البشر في الوقت الحاضر لا يتمتعون بما كان يتمتع به معاصرو الكتاب المقدس من مهارة استخدام الخيال لتصور الحق (ربما يرجع هذا إلى توفر الكثير من وسائل التسلية المعدة مسبقاً في الوقت الحاضر). لذا علينا أن نساعدهم على رسم الصورة أثناء الوعظ. بل الأهم من ذلك أن علينا تنمية عادة رسم الصور الذهنية أثناء القراءة والدراسة. إذا لم تستطع تخيل ما نتحدث عنه فلن تكون هناك فرصة كبيرة لسامعينا لكي يتخيلوه.

ملاحظات المنبر

لكل منا تفضيل خاص إزاء الملاحظات التي يأخذها معه أثناء الوعظ. وسواء كانت الملاحظات مكتوبة بخط اليد أو مصفوفة على الكمبيوتر فلابد أن تكون واضحة ليمكن قراءتها بسهولة وفي لمح البصر. يمكن لوسائل المساعدة البسيطة مثل التلوين ووضع الخطوط والأقواس أن تساعدنا على الانتقال من نقطة لأخرى بأقل قدر من الصعوبة.

أشرنا من قبل أن من العوامل المهمة للوعظ الواثق والسلس هو الدراية

بالموضوع الذي نعظ عنه، وما من شيء يمكن أن يحل محل هذا الأمر. إذا درسنا مادتنا دراسة جيدة واستجمعنا مضمون العظة بالكتابة فربما لن نحتاج سوى إلى صفحة أو صفحتين ندون فيهما الملاحظات العامة لنأخذها معنا إلى المنبر. الهدف الوحيد للملاحظات هو إنعاش الذاكرة حتى نستطيع الانتقال من مرحلة لأخرى في المادة بالترتيب السليم وبدون حذف نقاط هامة. غير أننا عادة ما نجد لها أهمية عظيمة في تسجيل وحفظ العبارات المحورية حينما نحتاج إلى قول شيء يتطلب مستوى خاص من الدقة.

يناسب هذا التسجيل أو الحفظ للعبارة بصفة خاصة العبارات الافتتاحية والختامية للعظة. عادة ما نشعر بالتوتر مع بداية التحدث لكننا إذا كنا قد أعددنا العبارة الافتتاحية فسنكون واثقين منذ البداية. ليس بالضرورة أن تكون العبارة شيئاً متميزاً لكن الأمر الرئيسي أننا نعرف ما سنقول منذ أن نقول كلماتنا الأولى.

في بعض الحالات تستند المقدمة على مثال أو عبارة رنانة تخلق جواً من الإثارة والاهتمام لكن لابد أن تقود في حقيقتها إلى الموضوع الرئيسي. فإذا لم تحقق هذا الهدف فإنها ستؤدي إلى فتور وسرعان ما يفقد السامعون اهتمامهم. ربما تكون العبارة الختامية تحدياً أو سؤالاً أو اقتباساً من الكلمة المقدسة غير أنها أيضاً لابد أن تنسجم مع ما سبقها. وليس بالضرورة أن تلخص العبارة الختامية العظة كلها ولكن ينبغي أن تكون مرتبطة ارتباطاً طبيعياً بها.

يمكن للنقاط الرئيسية أو العناوين أن تكون مفيدة لكل من الواعظ والسامعين لكن لابد أن تكون قصيرة وتنسجم مع مضمون العظة وسيرها. ينبغي أن تتسم بالبساطة والعملية وليس التجريدية أمثال «التكيّف مع الآخرين» بدلاً من «طبيعة التعايش». كذلك تتسم بالشيوع بدلاً من التخصصية (مثل «الله في كل مكان» بدلاً من «كلي الحضور»).

يمكن اتباع أسلوب بسيط في ربط العناوين بشرط أن يكون أسلوباً منسجماً مع مضمون العظة. ينبغي أن يكون هدفنا كوعاظ أن يفهم الناس الكتاب المقدس لا أن يتذكروا فقرات العظة. في بعض الحالات يتحتم علينا ألا نعلن النقاط الرئيسية رغم أننا قد نكون جهزنا ثلاث أو أربع نقاط رئيسية. يتوقف كل ما نفعله على الكيفية التي نريد توجيه الحديث إليها. ينبغي أن تكون لدينا مرونة في تحديد كيفية تقديم المادة.

إمكانية إعادة الاستخدام

بعد أن بذلنا جهداً في الدراسة والإعداد يفضل أن نحتفظ بالمادة التي جمعناها إذ يمكن الاستعانة بها في المستقبل. وهذا ينطبق بصفة خاصة على الملاحظات الأكثر تفصيلاً عن مضمون العظة. حتى إذا لم نعظ بالتحديد العظة نفسها، فإنه يمكننا أن نستخدم جزءاً من المادة في عظات أو دراسات أخرى. ربما نفضّل أيضاً الاحتفاظ في ملف بالملاحظات المختصرة التي أخذناها إلى المنبر رغم أن هذا ليس ضرورياً للغاية. إذا كنا قد أعددنا هذه الملاحظات لمناسبة محددة أو لمجرد إنعاش الذاكرة فربما نحتاج إلى إعادة كتابتها حينما نستخدمها

في المرة التالية. يمكن أن تكون إعادة الكتابة مفيدة لأنها تضطرنا إلى إعادة التفكير في التطبيقات العملية المعاصرة للتعليم الكتابي الأساسي وبهذا يحافظ على ملاءمة العظة وجِدّتها.

لا يمكن وصف دراسة ما عن أي موضوع بأنها دراسة كاملة ومن ثم فعلينا أن نكون مستعدين لتغيير أجزاء من العظة التي كتبناها أو قدمناها. سنحتاج إلى إعادة صياغة المضمون وأوجه التركيز مع ازدياد معرفتنا وتغيّر السامعين. من الممكن أن تصل بعض العظات إلى مرحلة النضج لمجرد أن نقدمها مرتين أو ثلاث مرات إلا أننا إذا بالغنا في تقديمها فقد تصبح عقيمة. كذلك يفضل أن نحتفظ ببيان يخبرنا أين ومتى قدمنا كل عظة.

(٦)
الوصـــول إلى الســـامعين

كلمة الله وليست كلمتنا

مهما كان قدر الفكر والمجهود الذي بذلناه في إعداد العظة وتقديمها، فعلينا أن نضع نصب أعيننا باستمرار أن القوة الروحية للرسالة تأتي من عند الله وليس منا. ينبغي أن نعتمد على الله ونعبّر عن اعتمادنا من خلال الصلاة المستمرة.

ذكر الرسول بولس المؤمنين في تسالونيكي بأن أحد أسباب تأثير خدمته بينهم هو أن الرسالة التي كرز بها «لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوة أيضاً وبالروح القدس وبيقين شديد» (١تس ١ : ٥). كذلك كانت خدمته مثمرة في كورنثوس رغم أن كرازته افتقدت إلى الفصاحة والثقة المعتادين. لكن آماله لم تخب. على الأقل أدرك أن إيمان أهل كورنثوس إيمان حقيقي لأنه لم يرتكز فقط على مهارته في الوعظ وإنما على حق الرسالة التي يقدمها. لم تعتمد الرسالة على حكمة بشرية وإنما على قوة الله (١كو ٢ : ١ ـ ٥).

السلطان الذي لخدام الكلمة كوعاظ هو سلطان الكلمة وحدها، والقوة الوحيدة التي يملكونها هي قوة روح الله الذي يعمل بواسطتهم وهم

يستمدون هذه القوة بواسطة الصلاة.

من الواضح أن علينا بذل أقصى جهدنا لنجيد الأداء، ينبغي ألا نقنع بالتعثر طوال الطريق بأن نسيء الأداء مما يجعل السامعين يجدون صعوبة في الاستماع. على الناحية الأخرى ينبغي ألا يكون هدفنا الأول أن نقدم أفضل عظة وبهذا يكون جل اهتمامنا إثارة إعجاب المستمعين (رغم أننا قد لا نعترف بذلك). تكمن القيمة في الكلمة ليست في الواعظ، أو كما أعلن بولس أنها في الكنز الروحي وليس الإناء المصنوع من الطين الذي يحتوي هذا الكنز. «ليكون فضل القوة لله لا منّا» (٢كو ٤: ٧).

الالتزام بالكلمة المقدسة

ينبغي علينا بالإضافة إلى مقاومة الميل للاستجابة إلى الغرور البشري أن نقاوم الإغراء بأن نقول ما يريد الناس أن يسمعوه. يدين الكتاب المقدس باستمرار الوعاظ الذين يهتمون بإرضاء السامعين على حساب إعلان الحق. بل إنه يصفهم بأنهم أنبياء كذبة (إش ٣٠: ١٠ ـ ١١؛ ٢تيمو ٤: ٣). قد يتجنب مثل هؤلاء الأشخاص الصعوبات ويستمتعون بالشعبية لكنهم في النهاية يدمّرون أنفسهم وسامعيهم (١مل ٢٢: ١٣؛ إر ٥: ٣١؛ ٢٣: ١٦ ـ ٢٢). على الناحية الأخرى فإن المرسلين الحقيقيين لله يقولون ما ينبغي أن يقال سواء أراد الشعب سماع ذلك أم لا (١مل ٢٢: ١٤؛ إر ١: ١٧؛ مي ٣: ٨؛ ٢تيمو ٤: ٢).

لا يعني هذا أن علينا أن نكون قساة أو غير حساسين في وعظنا فلا يعني الكلام الصريح العجرفة. عُرِفَ يسوع بأنه شخص صريح يعلم طريق الله بوضوح واستقامة يعلن الحق بدون أن يشغل باله بآراء الناس ومكانتهم (مر ١٢: ١٤). غير أن أقواله وسلوكه كانا مملوئين بالنعمة والتأثير (لو ٤: ٢٢؛ يو ٧: ٤٦).

احتياجات شعب الكنيسة متنوعة، فالعنيد يحتاج إلى توبيخ، والكسول إلى إنذار، في حين يحتاج الخائف إلى تشجيع والحزين إلى عزاء (رو ١٢: ٧-٨؛ ١تس ٥: ١٤؛ ٢تيمو ٢: ٢٤-٢٥). لكن مهما كانت الرسالة التي نقدمها فينبغي أن نكون أمناء في تفسير كلمة الله وتطبيقها. ينبغي ألا نلوي عنق النص حتى يقصد معنى يختلف عن المعنى الذي قصده كاتب الوحي. ينبغي أن نقتدي بمثال بولس فلا نحرّف كلمة الله لكي نوجد أنفسنا أمناء أمام الله (٢كو ٤: ٢).

من منطلق تنوع فئات المستمعين، ومن بين سبل ضمان التوازن في وعظنا أن نضع برنامجاً سنوياً يغطي جميع أقسام الكتاب المقدس. سنناقش هذا بالتفصيل في الفصل الثاني عشر. أما الآن ونحن نلاحظ فائدة مثل هذا البرنامج بينما نتناول أسفار الكتاب المقدس الكاملة فلاشك أننا سنغطي قائمة كبيرة من الموضوعات. وفي هذا الإطار نعالج الاحتياجات في الكنيسة مع تجنُّب ما هو غير محبّذ من توجيه العظة الجمهورية لمجموعة منتخبة من السامعين. كذلك غالباً ما نستطيع في إطار تفسير سفر ما تناول موضوع يصعب تناوله في عظة واحدة قائمة بذاتها.

من منظور السامعين

عندما نتوجه نحو المنبر فإننا نقوم بعملية «تسخين» على الموضوع الذي نعظ عنه. على الناحية الأخرى يأتي السامعون إلى الموضوع في حالة من «البرود» أو «الهدوء». بينما تعج أذهاننا بالأفكار التي درسناها وذاكرناها فإن أذهان سامعينا ربما لا تكون مستعدة بالمرة. ليس من المرجح أن يكون الناس عند وصولهم إلى الكنيسة قد درسوا الموضوع بقدر ما فعلنا وربما لم يخطر ببال أحدهم أي من الأفكار التي وضحت وترسخت في أذهاننا. لذا علينا أن نمضي بعض الوقت - ربما تكفي دقيقتان أو ثلاث دقائق في تمهيد خلفية تجعل السامعين قادرين على رؤية الموضوع والطريقة التي سنتناوله بها.

علاوة على ذلك ينبغي أن ندرك أنه إذ أثارت أسئلة في أذهاننا أثناء إعداد العظة فإن أسئلة مشابهة ستثار في أذهان السامعين أثناء تقديم العظة. ينبغي أن نتخيل بل ونذكر اعتراضات أو مجادلات قد تطرأ ثم نجيب عنها. يمكن أن نستهل عبارة بقولنا «والآن قد تقولون....» ثم نواصل التعامل مع الأمر.

هذا ما يفعله بولس في كتاباته «إذا ما هو فضل اليهودي أو ما هو نفع الختان؟ كثير على كل وجه...» (رو ٣: ١ - ٢). «فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء. أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا...» (رو ٣: ٣ - ٤). «فماذا نقول. أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟ حاشا. نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها» (رو ٦: ١ - ٢).

يستخدم ملاخي واعظ العهد القديم أسلوباً مشابهاً حيثما يضع أمام سامعيه تحدياً إزاء اتجاهاتهم الخاطئة. يوجه لهم إعلاناً ثم يردد إجابتهم الشاكية ثم يرد عليها. في (ملا ١ : ٦) يتهم ملاخي الشعب بالنيابة عن الله بأنهم احتقروا اسم الله. ويتساءل الشعب في استنكار «بم احتقرنا اسمك؟» يرد ملاخي بفم الله قائلاً «تقربون خبزاً نجساً على مذبحي»، فيرد الشعب «بم نجسناك؟» فيواصل ملاخي إخباره إياهم في الآيات (الأعداد) التالية.

يستخدم ملاخي هذا الأسلوب على نحو متكرر فمثلاً في (ملا ٢ : ١٧) يخبر النبي ملاخي الشعب بأنهم أتعبوا الله بكلماتهم فيجيب الشعب «بما أتعبناه؟» يرد ملاخي «بقولكم كل من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وهو يسر بهم. أو أين إله العدل؟» ثم يعالج الموضوع بصورة أكثر تفصيلاً في الأصحاح التالي. إذا استطعنا كوعاظ أن نستخدم هذا النوع من الجدال الخيالي سنجد أنه يحافظ على اهتمام السامعين ويساعد على تنمية سير العظة.

فئات المستمعين

يجدر بنا أن نتذكر أنه رغم أننا نرى مدى تطبيق جزء كتابي ما على الحياة اليومية فقد لا يستطيع البعض رؤية مثل هذا التطبيق بوضوح. قد تختلف ظروف شخص عن آخر واحتياجات شخص تختلف عن آخر. وعادة ما يتكون السامعون من خليط متنوع من الأشخاص من شباب وكبار، ذكور وإناث، متزوجين وعزاب، تجار ودارسين،

وهلم جرا. ومن ثم فمن المفضل ألا نركز حديثنا عن أمور تهم عدداً صغيراً من الأشخاص.

كذلك ينبغي أن نتجنب التعميمات المطلقة لأنها كفيلة بأن تبعد الشعب عن الصورة الواقعية. على سبيل المثال النقد الواسع للشباب غير منصف للأشخاص الذين لا يستحقونه. كذلك المدح الواسع والعام أمر غير مفيد لأنه يمكن أن يؤدي إلى إحساس مزيف بالرضا عن الذات.

حيث إنه ما من شخص يماثل الآخر فعلينا أن نتوخى الحذر في صياغتنا للتطبيقات والتحديات، فمن المفضل أن نصيغ العبارات والأسئلة على نحو يستحث مستوى مختلف من الاستجابة من مختلف الأشخاص. ينبغي أن نساعد الناس على التفكير في التجاوب المعين الذي يجب أن يتخذوه. عندما روى الرب يسوع مثل فعلة الكرم الذين تمردوا على صاحب الكرم رواه بطريقة تدفع سامعيه إلى التفكير في المعنى والتطبيق. وعندما فعلوا ذلك أدركوا أنه «قال المثل عليهم» (مر ١٢:١٢).

عندما غسل يسوع أرجل التلاميذ أخبرهم بأن هذا مثال للخدمة المتواضعة وعليهم أن يتبعوا هذا المثال، غير أن التطبيق العملي لتلك الخدمة سيختلف من شخص لآخر (يو ١٣:١٢ ـ ١٧). إذا كنا نعظ عن خدمة الآخرين فيمكننا أن نعطي أمثلة للتضحية بالذات سواء بالمكانة أو الطموح أو الراحة أو الاستقلال. غير أنه ينبغي ألا نملي تجاوباً بعينه على جميع الأشخاص. هذا ما فعله يسوع حينما قال مثل السامري

الطيب لأحد معلمي اليهود «اذهب أنت واصنع هكذا» (لو ١٠: ٢٩ ، ٣٧) . لقد اكتشف الرجل أحد تطبيقات التعليم والآن عليه أن يمارس التطبيقات الأخرى.

من النقاط الأخرى التي يجب أن نضعها نصب أعيننا ألا نطلق تعميمات مطلقة لاسيما حينما يرى السامعون استثناءً واضحاً. على سبيل المثال ينبغي ألا ننطق بإعلانات مؤكّدة بأن البار ينجح دائماً، أو الصلوات تستجاب باستمرار، أو المحن دائماً ما تكون نتيجة الخطية الشخصيّة. إذا كان السامعون يعرفون حالات لا تنطبق عليها هذه العبارات فقد يستنتجون أن وعظنا يفتقر إلى المصداقية ولا يعيرونه أدنى انتباه.

كذلك ينبغي أن نراجع أكثر من مرة صدق الحقائق حينما تقدم أمثلة توضيحية من مجالات في الحياة ليس لنا بها معرفة أو تجربة كبيرة. لنفترض مثلاً أننا لا نعرف الكثير عن الزراعة ولكننا سمعنا قصة عن الزراعة تبدو أنها مثال مفيد. مهما بدت فائدة المثال فإذا ذكرنا شيئاً ليس حقيقياً باعتباره حقيقة فإننا سنفقد مصداقيتنا عند فئة الفلاحين وخبراء الزراعة من السامعين.

إثارة حماس السامعين

إذا كنا نشمل برؤيتنا جميع فئات السامعين أثناء الخدمة فلابد أن نظهر في قمة التركيز في خدمة العبادة. إذا كان لدينا اهتمام حقيقي

بالعبادة فمن المرجح أن يهتم السامعون بنا حينما يحين دورنا.

كذلك يساعدنا هذا الانسجام في الخدمة على تخفيف حدة التوتر. كلما زاد هدوءنا كان ذلك أفضل. لهذا السبب يفضل بعض الوعاظ ألا يقرأون ورقة الملاحظات مرة أخيرة. ينبغي أن نقوم بالأداء التجريبي والصلاة قبل مغادرة البيت ثم نسلم ذواتنا للرب كيما يعطينا ثقة كاملة. نحتاج إلى الاحتفاظ بهدوءنا أثناء الفترة التي تسبق خدمة العبادة وألا نعمل ما قد يزيد من توترنا أو يثير فزعنا. كذلك تعد هذه الفترة فرصة لنفحص الموقع الذي سنضع عليه الكتاب وأوراق الملاحظات وتحديد كيفية وضعهم بمجرد أن ننهض لنتحدث فقد يكون الوقت قد فات لإجراء تغييرات إذا كان في الموقع ما لا يلائم.

يستعين بعض الوعاظ بالنكات أو التأنق في الحديث أو أي أساليب أخرى لجذب انتباه السامعين لكن ينبغي ألا نرى هذه الأشياء باعتبارها أساسية؛ فإذ لم تكن جزءاً طبيعياً من أسلوبنا وشخصياتنا فربما يفضل اجتنابها. إذا كان لدينا حماس حقيقي تجاه الموضوع الذي نعظ عنه فسرعان ما سيلاحظ السامعون ذلك وسينتقل لهم هذا الحماس والاهتمام. حينما أوضح الرب يسوع الكلمة المقدسة للتلميذين في الطريق إلى عمواس كان متحمساً حتى قالا عن قلبيهما: كان «ملتهباً فينا» (لو ٢٤: ٢٧، ٣٢). يشعر الناس بالحماس حينما يرون حماس الآخرين (٢كو ٩: ٢). كذلك يوجهون انتباههم للأشخاص الذين يؤمنون برسالتهم بغض النظر عن التضحية الشخصية (أع ٢٠: ٣١).

مضمون ينبض بالحياة

لا حاجة لنا إلى استخدام حيل «لصقل» الكتاب المقدس في محاولة للاحتفاظ باهتمام السامعين به. ليس السبب في مقاومة بعض الناس للكتاب المقدس أن الكتاب نفسه ممل أو رتيب وإنما لأن المسيحيين بصفة عامة والوعاظ بصفة خاصة يخشون أن يتناولوه بأسلوب عملي بسيط. علينا جميعاً أن نحترم الكتاب المقدس بوصفه كلمة الله ذات السلطان لكن لا يعني هذا أن علينا أن نقرأه وكأنه لا يتحدث بلغة يفهمها الشخص العادي. فإذا لم ننتبه لذلك فقد نقرأ الكتاب المقدس بإحساس مصطنع من الرهبة والعجب وبهذا لا نستطيع رؤية الجانب العملي منه.

يجب أن يعني احترامنا للكتاب المقدس أن نبذل أقصى جهد لفهم ما يقول ونوضح معانيه توضيحاً دقيقاً. وعندما نفعل ذلك سنجد أنه في بعض الأحيان يستخدم لغة صريحة للغاية ويستخدم تشبيهات عادية بل ويذكر بعض الأحداث المحرجة. اتسم بولس بالصراحة الحادة في هجومه على أولئك الذين يحاولون هدم عمله (٢كو ١١: ١٩ ـ ٢١؛ ١٢: ١١ ـ ١٣، ٢٠ ـ ٢١؛ غل ١: ٨ ـ ١٠؛ ٥: ١٢)، ويستخدم الأنبياء تشبيهات أرضية في تصوير خيانة الشعب مثل الزنى وغير ذلك من صور التطرف الجنسي (حز ٢٣: ١ ـ ٤، ٢٠ ـ ٢١؛ هو ٢: ١ ـ ٥)، وقصص ليست محببة تفضح بلا هوادة عنف الشعب ونجاسته (تك ٣٤: ١ ـ ٣١؛ قض ١٩: ١ ـ ٢١: ٢٥).

ينبغي ألا نحاول اصطناع المهارة بالبحث في الكتاب المقدس عن تلك الأجزاء المفعمة بالأحداث والصور التي تصدم السامعين وكذلك ألا نضلل السامعين بتجنب تلك الأجزاء أو نضفي عليها معاني روحية مفتعلة. ما علينا هو أن نشرح الكلمة كما فهمها القراء الأصليون. وعندما نفعل ذلك سنجد أن الكتاب المقدس ينبض بحيويته ولا نحتاج إلى جعله ينبض بالحياة بإضافة قصصنا. ينبغي أن نرى بأذهاننا الصورة التي رسمها الكاتب ثم نصفها للسامعين.

غير أنه بقدر قليل من التفكير نستطيع أن نعرض الصورة الكتابية على نحو يتماشى مع العصر من خلال تقديم النظير العصري لها. في (عا ٢ : ١٣) يقول الله على لسان نبيه أنه سيعاقب الشعب بسحقه إياهم كما تسحق عربة تجرها الثيران الأرض تحتها. يمكننا أن نقول باستخدام صورة عصرية مناظرة أن الله سيدوسهم مثل شاحنة تزن عشرة أطنان.

عندما صدر الأمر الإلهي لإشعياء بأن يكتب رسالة للشعب على منضدة من الفخار يمكننا أن نتصوره اليوم ينصب سبورة سوداء خارج مسكنه ويكتب رسالته عليها مستخدماً الطباشير (إش ٨ : ١) . عندما أُمر حبقوق بأن يعمل شيئاً مشابهاً (إلا أن رسالة حبقوق كانت في حروف كبيرة حتى يستطيع كل عابر أن يقرأه في لمح البصر، حب ٢ : ٢) فقد تتصور هذه الرسالة اليوم مكتوبة على علامات الطريق يستطيع أي سائق دراجة بخارية مثلاً أن يقرأها بسرعة، أو لعلنا نتصورها في عناوين الأخبار الرئيسية المعروضة على أي محل من محلات بيع

الصحف لجذب انتباه المارة.

لا تتطلب كل من هذه الصور البيانية أكثر من عبارة أو عبارتين أثناء حديثنا حتى لا تشغل وقتاً طويلاً من وقت العظة إلا أنها ستدخل السامعين إلى عالم النص الكتابي الذي نشرحه. الأهم من ذلك فإنها ستساعدهم على فهم النص الكتابي في سياقه الأصلي وتربطه بعالم اليوم.

ندد الكثير من أنبياء العهد القديم في جراءة بالقمع والفساد في عهودهم. لن يجد القراء المعاصرون صعوبة في تخيل مواقف معاصرة مناظرة: مسئولون يفضلون دافعي الرشوة (مي ٧ : ٣)، المرابون الذين يدفعون الفقراء إلى المديونية التي تصيبهم بالعجز (عا ٢ : ٦ ـ ٨)، السياسيون الذين يستخدمون مناصبهم لمنفعتهم الشخصية (إش ٢٢ : ١٥ ـ ١٩)، رجال الأعمال الذين يغشون المواطنين الذين لا حول لهم ولا قوة (عا ٨ : ٥ ـ ٦)، القادة الذين يبنون بيوتاً فخمة لأنفسهم لكنهم يهدمون بلادهم (إر ٢٢ : ١٣ ـ ١٨)، الأثرياء أصحاب النفوذ الذين يحققون مصالحهم على حساب الفقراء (عا ٥ : ١١ ـ ١٥).

شرح التشبيهات

كان شعب إسرائيل في زمن النبي عاموس يتطلع إلى يوم الرب لأنهم ظنوا أن الله في ذلك اليوم سيحطم أعداءهم ويمنحهم النصرة. يصحح عاموس هذا المفهوم الخاطيء موضحاً أن الله حينما يدين فإنه

سيدين جميع الأشرار بما فيهم شعب إسرائيل، ولن ينجو أحد. يقول عاموس عن يوم الرب «كما إذا هرب إنسان من أمام الأسد فصادفه الدب أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحية» (عا ٥:١٨ - ١٩). المثال قصير وبسيط ولكن لن يفهمه معظم الأشخاص ما لم نوضحه.

ينبغي أن تكون لدينا القدرة على تخيل ما يقوله عاموس ونساعد السامعين على رؤيته، رجل في الريف يجد نفسه فجأة أمام أسد يوشك أن يهاجمه، وإذ يرتعب الرجل يفر هارباً لينجو بحياته وهو يصرخ ويقفز هنا وهناك في محاولة للإفلات من مهاجمه. وأخيراً يتخلى الأسد عن مطاردته لكنه أثناء استرداده لأنفاسه يرى دباً متجهاً نحوه من الاتجاه الآخر.

وهكذا يفر الرجل مرة أخرى وهذه المرة مطارداً من الدب، ويجري صارخاً في محاولة مستميتة للإفلات من مطارده. ثم يرى بيتاً فيتوجه إليه ويدخله ويغلق الباب في الوقت المناسب ليمنع الدب من الدخول. وها هو مرة أخرى يعتقد أنه نجا بأعجوبة وفي ذروة إرهاقه وشعوره بالامتنان يستند على جدار البيت ثم تلدغه حية! كما جذب تشبيه عاموس انتباه سامعيه فإنه سيجذب انتباه من يسمعوننا ويوصل لهم الفكرة. لن ينجو أحد!

أمثلة أخرى

نجد مثالاً آخر لاستخدام اللغة المفعمة بالتشبيهات الحية بالقرب من نهاية سفر أيوب حيث يوبخ الله أيوب ويضع أمامه تحدي حكم النظام الأخلاقي للكون. لا يصل أيوب إلى حكم النظام الأخلاقي فهو لا يستطيع حكم النظام المادي الملموس. يؤكد الله هذه الحقيقة بأن ذكّر أيوب بأن مملكة الحيوان خارج عن نطاق سيطرته ويضرب مثلاً في التمساح. إذا كان أيوب قادراً حقاً فإنه يستطيع صيد تمساح بصنارة كما يصيد الأسماك. عندئذ ربما يستطيع ترويضه كأحد الحيوانات الأليفة، لعله يستطيع أن يعلمه الحديث أو الحيل، لعل بناته يستطعن وضعه في مقود أو رباط ويصطحبنه في الشارع كما يفعلن مع الكلب الأليف (أي ٤١ : ١ ـ ٥). وهكذا يستمر الوصف. تحتوي الصور على حساً مثيراً للعجب مقصوداً وينبغي أن يوضح شرحنا للنص هذا الحس.

نستشعر حساً مشابهاً في أقوال الرب يسوع. تخيل شخصاً يستبعد حشرة سقطت في شراب يتناوله ولكنه يبتلع جملاً (مت ٢٤ : ٢٤). لعلك تتخيل إنسان يبتلع رأس الجمل لكن سنامه يمثل مشكلة في الابتلاع ـ ناهيك عن الأقدام!

ثم نجد صورة أناس يعشرون أعشاب مثل النعناع والشبث والكمون ولكنهم تركوا أموراً أهم بكثير. لن تكون هذه الأعشاب مألوفة لدى كثيرين ممن يسمعون، غير أننا نستطيع تخيل أشخاص يضعون كيلو من الأرز أمامهم، ويحصون كل حبة من الحبات ثم يضعون جانباً

الحبة العاشرة ليضمنوا أنهم حجزوا العشر لا أكثر ولا أقل (مت ٢٣ : ٢٣) . في كل من هذه الحالات ينبغي أن نتعامل مع الرسالة بجدية ولكننا نستطيع أن نبدي الاستغراب حينما نستشعر الحس المثير للعجب الذي تنطوي عليه كلمات المتكلم.

العناية في استخدام الكلمات

نجد الأمثلة المذكورة أعلاه عبر صفحات الكتاب المقدس غير أننا غالباً ما نميل إلى استخلاص دروس روحية من النص على نحو يجعلنا نخطيء المعنى الواضح لما هو مكتوب. ينبغي أن نسترخي حينما نقرأ حتى نستطيع أن نتخيل المواقف كما يصورها الكتاب المقدس. علينا بعد ذلك بناء صور بيانية حتى يستطيع السامعون استشعارها كما لو كانوا في قلب الحدث.

إذا كنا نشرح شكوى ملاخي بشأن تقدمات الشعب (ملا ١ : ٨) فلابد أن نرسم صورة تجعل السامعين قادرين على رؤية ما يصفه ملاخي، نساعدهم لكي يروا شخصاً يقدم حيواناً ذا ساق مكسورة وقد قطع نصف ذيله وتقرح جسمه وفقدت إحدى أذنيه. يقول الشخص في قرارة نفسه «حسناً سيموت على أي حال فلعلي أقدمه على المذبح وأتخلص منه. على الأقل سيحظى بشرف أن يموت كذبيحة تقدمة للرب».

تجاوب ملاخي بأن وبخ الشعب على إهانتهم للرب وتقديمهم له

مثل هذه التقدمة، ويتساءل عما إذا كانوا يحاولون عمل الشيء نفسه مع الحاكم الفارسي «إليك يا مولانا حيواناً مريضاً ليس له فائدة كبيرة لي ولكني واثق أنك ستقدر الهدية. عيد ميلاد سعيد». ماذا سيكون رأي الحاكم؟ غير أن شعب الرب ظنوا أن الله سيحابيهم رغم أنهم يتعاملون معه على نحو لا يجرؤن التعامل به مع أي شخص آخر.

ما نفعله هو أننا نجعل النص رسالتنا. لا نحتاج إلى التفكير في تشبيهات وتحديات كثيرة وإنما يكفي أن نفسر النص ونوضح قيمته، وفي هذا الإطار علينا أن نحترس لئلا نبالغ في التركيز على أفكارنا. فإذا أخذنا نخبر الناس بمدى أهمية شيء وعظمته وتفرده فربما يكون رد فعلهم عكسياً. وبدلاً من أن يثار إعجابهم نجد اهتمامهم وشغفهم «ينطفئان». لكن علينا أن نقدم عباراتنا وتطبيقاتنا بوضوح وبساطة حتى تأتي استجابة المستمعين على نحو طبيعي.

في الوقت نفسه ينبغي أن نستهدف النوع السليم من الاستجابة، فلسنا نريد أن يوافق المستمعون مع ما جاء في عظاتنا لأنهم يجدونها مسلية. ينبغي أن نحافظ على انتباه السامعين وشغفهم لما نقول غير أننا يجب أن نقدم لهم التعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب أو بمعنى أن نؤثر عليهم تأثيراً روحياً (٢ تيمو ٣: ١٦).

(٧)
تحـــديد المضمـــون

المرونة في القراءات الكتابية

سواء كنا نفسر سفراً كتابياً أو نعظ عن موضوع ما فلابد أن نتبنى التنوع في عرضنا له. عندما نفسر أحد أصحاحات سفر كتابي لا نحتاج لنبدأ بقراءة الأصحاح كله. وعندما نعظ عن موضوع ما لا نحتاج في كل الحالات أن نبدأ بقراءة مختارة. غير أننا نحتاج إلى البحث عن سبل لمشاركة السامعين في فحص الكتاب بأنفسهم أثناء تقديمنا للعظة.

إذا اعتاد الناس الجلوس والاستماع بدون المتابعة من الكتاب المقدس فربما علينا أن نغير هذه العادة. ينبغي أن نكون منفتحين وأمناء في تفسير ما نريد. الكتاب المقدس هو كلمة الله وليس العظة وينبغي أن يكون هدفنا هو زيادة فهم السامعين للكلمة المقدسة. نحن لا نعظ لنشغل السامعين بما نقول. كذلك ينبغي أن نشجعهم على إحضار كتبهم المقدسة إلى الكنيسة حتى تتسع درايتهم بمضمون الكتاب المقدس من كثرة الاستعمال.

ألّف كثيرون كتباً عن الوعظ غير أن ما يركز عليه هذا الكتاب هو عرض الأسفار الكتابية في الصورة التي أعطاها الله. رغم أهمية العظات

الموضوعية فهي ليست محور اهتمام هذا الكتاب، إلا أنه مادمنا قد تحدثنا عن القراءات الكتابية فربما نتناول أحد الأمور المتعلقة بقراءات العظات الموضوعية.

رغم أنه من الضروري أن نجعل السامعين يتابعون بأنفسهم ما تقوله أجزاء الكتاب المقدس المختلفة عن موضوع معين فينبغي أن نحترس لئلا نرهقهم بالمبالغة في عدد الشواهد الكتابية. لا نحتاج إلى استخراج كل شاهد كتابي وقراءته. ربما نستخرج الآيات المحورية لكن يفضل أن تعتمد على الذاكرة في الآيات الأخرى أو نسجلها في إحدى وريقات الملاحظات. عندما نطلب من السامعين الانتقال معنا إلى قراءة مختارة في نقطتين أو ثلاث نقاط في العظة فإننا نجعلهم يشاركوننا لكن إذا طلبنا منهم الانتقال إلى الوراء والأمام في الكتاب المقدس على نحو متكرر فربما يتضايقون، وبالتالي يفقدون الاهتمام. كذلك المبالغة في استخراج الآيات الكتابية يمكن أن يؤدي إلى توقف تدفق العظة.

مهما كان أسلوبنا سواء في الوعظ عن موضوع ما أو تفسير أحد الأسفار الكتابية فينبغي أن نبحث باستمرار عن سبل لتنويع تقديمنا. لا ضرورة أن تكون التغييرات تمثيلية أو درامية وإلا ستمنع المستمعين من توقع ما سنقول، غير أنها ستنمي شعوراً بالترقب بينهم.

ليس أكثر من اللازم ولا أقل من اللازم

من المشكلات المرتبطة بالوعظ هو ما يعرف بكم المادة التي يجب

تضمينها في العظة وكم المادة التي يمكن الاستغناء عنها. نستطيع مواصلة الحديث لمدة ثلاث أو ربما ثلاثين عظة وهذا يتوقف على الهدف من التعليم وقدرات الواعظ واحتياجات الشعب والوقت المتاح وعناصر أخرى متنوعة. تكمن الخطورة هنا في شعورنا بضرورة نقل كل ما عرفناه إلى السامعين.

يواجه بصفة خاصة هذه المشكلة الوعاظ الشباب الذين أنهوا مؤخراً دراستهم اللاهوتية وتدريبهم الكتابي. إنهم يشعرون بالحماس تجاه ما تعلّموا ويريدون أن ينقلوه إلى الكنيسة. غير أن أغلبية الشعب لا يشاركونهم هذا الحماس. كثيرون من دارسي الكتاب المقدس سواء خريجين جدد فى المدارس اللاهوتية أو معلمين باحثين يرون للتفاصيل الفنية أهمية كبيرة في حين يراها أغلب الناس تفاصيل مملّة وغير مناسبة. لا يهتم الناس بصفة عامة ما إذا كان متى قد كتب إنجيله باللغة العبرية أو باللغة اليونانية وسرعان ما يشعرون بالحيرة حينما يجدون الواعظ يحاول توضيح بدائل للنص العبري أو إشارات الأزمنة المستمرة في الأفعال اليونانية.

للتعليم مكان حول هذه الأمور غير أنه ليس الاجتماعات العادية للكنيسة. إن محور تركيزنا في هذا الكتاب هو تفسير الكتاب المقدس في الاجتماعات العامة المنتظمة التي تهدف إلى البناء الروحي للمؤمنين وتشديد الكنيسة ككل. بالتأكيد نريد توسيع نطاق معرفة الشعب بالكتاب المقدس غير أن اجتماعات الكنيسة كعائلة لا توفر الوقت أو المناخ لمثل

هذه الدراسات التفصيلية المتخصصة. للأسف يرى البعض أحياناً هذه الحقيقة باعتبارها ذريعة لعدم تقديم أي نوع من العرض الكتابي، لكن لابد أن تكون نظرتنا عكس هذا؛ فالكنيسة تحتاج إلى مزيد من التفسير الكتابي لا أقل، غير أن هذا التفسير يجب أن يكون تفسيراً سليماً.

حسب ما جاء في تعليم بولس الرسول في (أف ٤ : ١١ ـ ١٣) فإنه لا يمكن الفصل بين موهبتي الرعاية والتعليم؛ فالمعلّم راعٍ والراعي معلّم وعلينا المزج بين الدورين في وعظنا. ينبغي أن نعلّم الكتاب المقدس بأسلوب يسدد الاحتياجات الرعوية للشعب حتى ينمو في الإيمان والمعرفة والنضج. نحن نشرح ما يقوله الكتاب المقدس ونوضّح للناس قيمته لحياتهم.

ينبغي ألا يكون هدفنا حينما نعظ في الكنيسة أن نعلّم الشعب كل ما يمكن أن يتعلموه عن فقرة كتابية أو سفر معين، وإنما أن نعلمهم أولاً على نحو يفيدهم إفادة مباشرة لما يسمعون، وثانياً يعدّهم بطريقة أفضل للدراسة بمفردهم.

التخطيط المتأني

لا توجد تركيبة سحرية تعطينا نجاحاً فورياً في تفسير الكتاب المقدس في الكنيسة. ربما أهم شرط هو الدراية بالنص. ينبغي أن نتشبّع بالمعرفة عن السفر الكتابي الذي نتناوله. ينبغي أن نكون صارمين مع أنفسنا إذ نستثني من العظة الكثير مما تعلمنا ونركّز على تنمية القدر الصغير

نسبياً الذي يمكن أن نقدمه في الوقت المتاح لنا. ينبغي أن يكون هدفنا أن نستخدم هذه المادة لنفتح السفر الكتابي أمام أذهان سامعينا حتى يصبح الكتاب المقدس نفسه رسالتنا.

لنفترض مثلاً أننا نفسر سفراً كتابياً في ست عظات تمتد كل منها إلى نصف الساعة. تستغرق دراستنا الأولية عدة أسابيع أو أشهر، وينبغي أن نجمع المادة على النحو الذي ذكرناه في الفصل الخامس. وبهذا نكتسب دراية بمحتويات السفر ونألف الأفكار الرئيسية التي نريد التركيز عليها. وهذا يشمل عرض تفسير السفر والتطبيقات التي نريد تقديمها أثناء العظة، وهنا غالباً ما نواجه مشكلة رئيسية. كيف نجعل المادة المختارة تناسب الوقت المتاح بدون أن نضجر الناس بالإكثار في التفاصيل من ناحية أو نقدم مجرد عرض عام لا يكاد يلمس النص من ناحية أخرى.

إذا كانت الفرصة المتاحة لنا ست عظات فعلينا أولاً أن نقسم السفر لستة أقسام يمكن أن تكون قائمة بذاتها. رغم أن العظات قد تكون متتابعة ينبغي أن نتذكر أن السامعين يتغيرون من أسبوع لآخر وينبغي أن تكون كل عظة قابلة للفهم لأولئك الذين لم يحضروا العظات السابقة.

مهمتنا الثانية هي أن نتناول الجزء الذي خصصناه لكل عظة، ونختار الأقسام أو الآيات التي توضّح رسالتها. هذه هي الآيات التي سنعلّق عليها ونطلب من سامعينا أن يقرأوها، لأنها تمثّل محتوى الرسالة الكتابية التي نريد شرحها وتطبيقها.

ينبغي أن تكون لدينا مرونة في اختيار هذه الآيات. فمثلاً إذا تناولنا أحد أسفار العهد الجديد - لاسيما أحد الأسفار القصيرة - فقد نستطيع التعليق على كل آية. أما إذا كنا نتناول أحد أسفار العهد القديم - لاسيما أحد الأسفار الطويلة - فقد لا نستطيع التعليق سوى على آيات قليلة. وهنا ينبغي أن نحدد الآيات التي نختار قراءتها. من القواعد الإرشادية العامة لتحديد عدد الآيات التي يمكن قراءتها هو اختيار آيات بقدر عدد الدقائق المتاحة للوعظ. على هذا الأساس يمكن قراءة ثلاثين آية لعظة تمتد ثلاثين دقيقة. سيكون بعض هذه الآيات في مجموعات متتابعة وأخرى منفصلة ولكن في كل الحالات ينبغي أن تنسجم مع تطور السفر.

تحتوي بعض نسخ الكتاب المقدس على عناوين جانبية توضح الأقسام الطبيعية في السفر أو الأصحاح ويمكن أن تساعدنا هذه العناوين في وضع خطة لتغطية المادة الكتابية. يُفضّل بقدر الإمكان أن نتعامل مع مجموعات من الآيات بدلاً من تقسيم الأصحاح إلى آية تلو الأخرى. ينبغي أن نتبع تسلسل أفكار الكاتب وألا نتشعب إلى أمور أخرى. ليس هدفنا أن نستخدم النص الكتابي ليمدنا بعناوين لعظات قصيرة، وإنما نفتح النص الكتابي حتى يصير هو نفسه العظة. نحن نعرض النص للسامعين حتى يمكن أن يتواصل معهم أثناء فهمهم لمعناه واستيعابهم لتطبيقاته.

تقديم أمثلة

يحتوي الكتاب المقدس على أنواع متنوعة من الأساليب وينبغي أن

نتناول الأسفار المتنوعة بأساليب متنوعة. لا يمكننا في هذا المقام أن نقدم مثالاً لتفسير كل نوع من أنواع الأسفار الكتابية. ولذا سنحصر عرضنا على أربعة أمثلة سنتناولها في الفصول الأربعة التالية. في كل حالة سنفترض أن العظة ستمتد إلى نصف ساعة وبالتالي ينبغي أن نحصر قراءتنا وتفسيرنا حول ثلاثين آية.

سنتناول في الفصل الثامن أحد أسفار العهد القديم التاريخية وهو في هذه الحالة سفر القضاة. سيكون الهدف هو أن نوضح كيف يمكن أن نقدم محتويات عدة أصحاحات من خلال الدقة في اختيار آيات أو مجموعة من الآيات المعنية. لسنا نلقي على السامعين مجرد قصة وإنما نساعدهم على فهم النص الكتابي ووضع تحديات روحية. يجب أن نكون قادرين على التعامل مع أسفار الشريعة (من سفر التكوين إلى التثنية) على نحو مشابه - ليس فقط الأقسام السردية وإنما المجموعات المطوّلة من النواميس والقواعد.

ثم سنتناول أحد الأسفار النبوية. حيث إن الكتابات النبوية وعظية أكثر منها سردية، وشعرية أكثر منها نثرية وليست سهلة في فهمها بقدر الأسفار التاريخية. لا يألف معظم الناس محتوى هذه الأسفار، ومن ثم فيمكننا توضيح النص بمزيد من التفصيل. عند تعاملنا مع أسفار الأنبياء الصغار لن نجد صعوبة في عمل هذا في إطار برنامج الكنيسة لأنها غالباً ما تكون أقصر. ولكن نادراً ما نجد فرصة لتفسير الأسفار الطويلة مثل إشعياء وإرميا وحزقيال.

لذا سنتناول في مثالنا في الفصل التاسع أحد الأسفار النبوية الطويلة، وهو سفر إشعياء. إذا نجحنا في صياغة أسلوب لتعليم الأسفار الطويلة لن نجد صعوبة في تناول الأسفار الأقصر. كما يمكن تناول بعض المزامير وكتابات الحكمة بالطريقة نفسها إلى حد كبير.

سيركز الفصلان التاليان على العهد الجديد. وهنا يمكن أن نفترض أن السامعين أكثر اعتياداً على النص الكتابي بالمقارنة بالعهد القديم غير أنه ينبغي ألا نفترض أنهم يفهمون معنى النص. كذلك تتسم نصوص العهد الجديد بالازدحام في المعاني بمعنى أنها تخلو من السرد المطول أو الحوارات والأوصاف والأحاديث وهي سمات تميز العهد القديم. لذا، لا نستطيع تناول كم كبير من المادة في مسح مختصر لأن معظم الآيات تلعب دوراً أساسياً في تسلسل فكر الكاتب. سنضطر بصفة عامة للتعامل مع كل آية على حدة لكننا لا نريد أن نثقل على السامعين بدراسة آية تلو الأخرى أسبوعاً تلو الآخر.

سوف ترتكز القواعد الإرشادية لتعليم العهد الجديد على سفرين بينهما اختلاف كبير في المضمون والهدف والأسلوب والطول. في الفصل العاشر سنتناول إنجيل يوحنا كمثال عملي لسفر من الأسفار الطويلة من العهد الجديد وفي الفصل الحادي عشر سنتناول الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي كمثال عملي لسفر أقصر. وفي كلتا الحالتين سنحاول تفسير العهد الجديد على نحو يوضح معناه الأصلي وفي الوقت نفسه يفيد المؤمنين في الوقت الحاضر.

(٨)
شرح العهد القديم (١)

أجزاء سفر واحد

مثالنا العملي للتعامل مع أحد أسفار العهد القديم التاريخية هو سفر القضاة. ينبغي ألا نتوقع أن نعظ عن هذا السفر بمعدل أصحاح واحد أسبوعياً على امتداد واحد وعشرين أسبوعاً، فهذا الترتيب غير مُفضّل. أما إذا حاولنا تغطية السفر كله في عظتين أو ثلاث عظات فقد نكون بذلك قدمنا مسحاً سريعاً عنه. لذا ما ينبغي أن نقوم به هو أن نقبل أي عدد من العظات يسمح به برنامج الكنيسة ونتعامل مع السفر في إطار ذلك البرنامج. فإذا أتيح لنا عظتان أو ثلاث فعلينا ألا نسعى جاهدين لتغطية أكبر قدر ممكن وإنما قد يكفي أن نقدم نظرة عامة عن السفر ثم نركز على جزءين أو فكرتين رئيسيتين مختارتين.

سنفترض لعرض هذا المثال أنه قد أتيحت لنا ست عظات كل منها يمتد إلى نصف ساعة. ينبغي أن يكون هذا كافياً لتغطية معظم السفر تغطية جيدة. ومن ثم نقسم السفر إلى ستة أجزاء مستعينين بالتقسيمات الطبيعية في السفر بقدر الإمكان. يمكن أن تكون هذه الأجزاء الستة: الأصحاحات ١ ـ ٣ (مقدمة وبعض القضاة الأوائل)، و ٤ ـ ٥ (دبورة)،

و٦ ـ ٩ (جدعون وأبيمالك)، و١٠ ـ ١٢ (يفتاح)، و١٣ ـ ١٦ (شمشون)، و١٧ ـ ٢١ (أمور مرتبطة بالأسباط).

لا يعني التقسيم أن علينا تناول كل قصة في كل أصحاح وإنما يضع إطاراً لكل عظة. فمثلاً قد نرى في العظة الأولى أن الوقت لا يكفي لتناول كل المادة الواردة في الأصحاحات ١ ـ ٣ ومن ثم نقرر الاستغناء عما ذكر عن عثنائيل وإيهود، لا بسبب عدم أهمية هذين القاضيين، ولكن نظراً لضيق الوقت المتاح فإننا نفضل التركيز على معلومات وأفكار أخرى في تلك الأصحاحات.

سنتناول في مثالنا العملي واحداً من الأجزاء الستة المذكورة أعلاه، وهو الأصحاحات ٦ ـ ٩. يحتوي هذا الجزء على قصة جدعون في الأصحاحات ٦ ـ ٨، وقصة ابنه أبيمالك في الأصحاح ٩. ولكن نظراً لذكر الكثير من الأماكن والأشخاص والأفعال والأحداث في هذه الأصحاحات الأربعة فإننا نتوقع من السامعين أن يصابوا بالحيرة إذا ما حاولنا تناولها جميعاً في إطار نصف ساعة لذا نقرر الاستغناء عن قصة أبيمالك والتركيز على جدعون.

[يتحتم مع هذا المثال العملي والأمثلة الأخرى التي تليه أن يفتح القراء كتبهم المقدسة عند الأماكن المذكورة حتى يستطيعوا متابعة الملاحظات التفسيرية ويروا كيف تستخدم المادة الكتابية].

مقدمة عن جدعون

كانت العظات الأولى عن سفر القضاة قد أوضحت النمط المتكرّر في تاريخ شعب إسرائيل أثناء الفترة التي تتناولها. يمكن أن نتكلم عنها بإيجاز وهي شعب إسرائيل يتحول عن عبادة الرب، يقلد الطقوس والممارسات الدينية للشعوب الكنعانية ثم بعد سنوات من القهر يصرخون إلى الله لكي يرحمهم. عندئذ يرسل الله مخلصاً ليطرد الأعداء ويرد لهم استقلالهم. يسمى هؤلاء المنقذون بالقضاة لأنهم حملوا قضاء الله سواء هزيمة الأعداء الأجانب أو ممارسة العدل بين أفراد الشعب.

نظراً لأن القصص التي يسجلها سفر القضاة عادة ما ترتبط بمناطق محددة يملكها الأسباط داخل أمة إسرائيل لذا يمكن باستخدام خريطة بسيطة (ويفضل أن تكون ملونة) جعل السامعين قادرين على متابعة تسلسل الأحداث الكتابية.

نبدأ حديثنا بقراءة الآيات الأربع الأولى من الأصحاح السادس غير أننا لا نحتاج إلى قراءة الآيات كلها بدون توقف كما أننا لا نحتاج إلى قراءة كل كلمة في كل آية. المهم هو أن نحث السامعين على المتابعة من كتبهم المقدسة أثناء قراءتنا وتعليقنا. نلاحظ من قراءتنا للآية الأولى أن المضايقين في القصة هم المديانيون واستمرت مضايقتهم سبع سنوات. يمكن أن نضيف إيضاحاً موجزاً بأن المديانيين جاءوا من منطقة جنوب إسرائيل وقد هاجموا بالتحرك صوب الشمال حول البحر الميت ودخلوا إسرائيل من جهة الشرق. يمكن أن تساعد الخريطة الناس

على رؤية خط السير.

نواصل قراءة الآيتين ٢ ، ٣ لنرى كيف ضايق المديانيون شعب إسرائيل إذ لم يكونوا يحتلون الأرض بصفة مستمرة وإنما يشنون غارات سنوية على حقول شعب إسرائيل. نقرأ في الآية ٤ أن هذه الغارات امتدت بين جنوب إسرائيل وغزة على السهل الساحلي للبحر المتوسط، وسنجد لاحقاً أن غاراتهم امتدت إلى الشمال حتى وصلت إلى نفتالي. لا حاجة لاستخراج الآيات التي تشير إلى نفتالي فإننا سنتناولها في سياقها. ينبغي أن نشير إلى هذه الأماكن على الخريطة موضحين أنه لكي يقوم المديانيون بالغارات كان عليهم أن يعبروا نهر الأردن. لهذه المعلومة فائدة لاحقة.

لم نقرأ حتى الآن سوى أربع آيات ولكن لعلنا نجذب انتباه السامعين إلى ذكر الجمال في الآية ٥. لا حاجة لنا إلى قراءة الآية على مسامعهم ولكن علينا أن نحثهم على النظر إلى كتبهم المقدسة مرة أخرى حيث يمكن أن يلمحوا في ثانية كلمة «جمالهم». هذه هي إحدى المعلومات التفصيلية التي تربط القصة بالعالم الذي نألفه.

الشخص الذي سوف يستخدمه الله في طرد الأعداء هو جدعون. نعرف السامعين بأنه كان من سبط منسى وبالتحديد من عشيرة أبيعازر. عاش أهل هذه العشيرة في إحدى قرى سبط منسى في شمال إسرائيل وكانوا من بين ضحايا الغارات المديانية. هذا ما نقرأه في الآية ١١. (لن تذكر كلمة «منسى» حتى الآية ١٥ لكن لا ندع هذا يزعجنا عند

هذه المرحلة. سيرى السامعون الكلمة حينما نصل إلى الآية ١٥ بعد وقت قصير).

لنلاحظ هنا أنه يمكننا شرح المادة الكتابية بطرق متنوعة. في هذه الحالة قدمنا للسامعين تفسيراً للآية قبل أن نقرأها إذ نذكر المعلومة ببساطة ونقول «ستجدون هذا في الآية ١١» سيتجاوب معظم الناس في تلقائية بتنفيذ ما قلنا إذ سيراجعون الآية ١١. كذلك جعلناهم يعرفون - بدون أن نقول ذلك بصفة محددة - إننا لا نتطلب منهم مستوى أعلى من التعلم لكي يفهموا هذه المعلومة فهي موجودة بالفعل في الكتاب المقدس، كل ما في الأمر أننا نجذب انتباههم إليها حتى يروها. عندما نجعلهم يطالعون الكتاب المقدس. بهذه الطريقة نكون قد حققنا هدفاً مهماً.

عندما علم جدعون أن الله سوف يستخدمه لطرد المديانيين شعر بالخوف والشك ولكن وعد الله بحضوره وقوته طمأن قلبه. نقرأ الآيات ١٤ ـ ١٦ ونمضي بعض الوقت في الخروج بتطبيق يفيد السامعين. كثيرون يشعرون بالخوف والشك كما شعر جدعون لكننا نحتاج أن نذكر أنفسنا بأن فاعليتنا تعتمد على عمله فينا وبنا وليس على شخصياتنا أو قدراتنا. يمكننا التوسع قليلاً في هذه النقطة لكننا لا نحتاج إلى قول الكثير. المهم هو أننا استخلصنا من كلمات النص الذي أمامنا تطبيقاً عملياً. يمكن أن نختم هذا الجزء بذكر وعد الله المطمئن في المعجزة التي حدثت في الآية ٢١.

خطوة جدعون الأولى

بمجرد أن طمأن الله جدعون نهض للعمل، وهذا ما ينبغي أن يعمله شعب الله اليوم. أحياناً نحتاج أن نذّكر أنفسنا بكلمات العذراء مريم للخدام في عرس قانا الجليل «مهما قال لكم فافعلوه» (يو ٢ : ٥). وعندما نهض جدعون للعمل بدأ بأكثر الأماكن منطقية، وربما أصعب مكان، وهو عشيرته.

حيث إن مشكلات شعب إسرائيل كانت نتيجة لعبادة الشعب للأوثان فقد كان أول عمل علني قام به جدعون هو أن أظهر للشعب أن عليهم ترك ديانتهم المزيفة والرجوع إلى الله. كان هذا صعباً عليه لأن أباه كان المسئول عن سارية البعل في المنطقة. ثم نقرأ الآيات ٢٥ ـ ٢٧ وهي تحكي كيف دمر جدعون مذبح البعل وما ارتبطت به من رموز ثم بنى مذبحاً لله وقدم ذبيحة عليه. خشى جدعون من المقاومة حتى أنه قام بعمله ليلاً ولكننا لا نحتاج إلى انتقاد ذلك. على الأقل قام جدعون بما أمره الله وهكذا علينا أن نفعل، لا يهم أن نكون خائفين أو لدينا الجرأة، المهم أن نطيع.

ثم علينا أن نجذب انتباه السامعين إلى الكلمات الافتتاحية للآية ٢٨ ونواصل حديثنا فنوضح كيف أراد شعب المدينة قتل جدعون. عندما يقاوم شعب الله التيار العام من أجل إلههم فلابد أن يتوقعوا المقاومة، ولكن أحياناً ما يأتي التأييد ممن لا نتوقعه منهم. صار والد جدعون الذي تهدم مذبحه أول من آمن وأيّد جدعون ضد شعب المدينة (اقرأ

الآية ٣١) . وعندما دعا جدعون الشعب إلى تكوين جيش كان الأبيعازريون الذين أرادوا قتله في البداية أول المتطوعين. ثم نقرأ الآيات ٣٣ ـ ٣٥ موضحين الدور الذي قام به عشيرة الأبيعازريين مشيرين إلى التفاصيل الأخرى أثناء تقدمنا في شرح النص.

يطالع كثير من الناس في الكتاب المقدس أسماء أشخاص وأماكن غير مألوفة لكن هذه الآيات تتيح لنا أن نعرف مدى قيمة مثل هذه الأسماء. يمكننا أن نربط التفاصيل الكتابية بالخريطة موضحين كيف كان المديانيون يأتون من الشرق ويعبرون نهر الأردن ويقيمون المعسكرات في شمال إسرائيل وبالتحديد في وادي يزرعيل. نلاحظ أيضاً أن وادي يزرعيل يمتد بطول حدود أرض سبط منسى (السبط الذي ينتمي إليه جدعون) والأسباط الأصغر المجاورة. تشكل جيش جدعون من رجال ينتمون إلى أسباط تلك المنطقة الشمالية. وتمثل هذه الحقيقة أهمية في قصص الحروب التي ستأتي لاحقاً.

عندما اقتربت المعركة مع مديان بدأ إيمان جدعون يضعف فطلب من الرب آيات معجزية تطمئنه. لم يكن من المفروض أن يطلب جدعون آية لأن الله أكّد له بالفعل نصرته. كان عليه أن يؤمن ويطيع ببساطة، لكن الله في نعمته أعطى جدعون الآيات التي طلبها.

نظراً لأن الكثير من المسيحيين يعرفون هذا الحدث فلعلنا لا نحتاج إلى التوقف وقراءته. غير أنه يمكننا أن نذكر أن علينا اليوم ألا نشجع المؤمنين على طلب آيات وألا ندين أولئك الذين تحدث معهم آيات

خاصة. الله هو السيد على كل شيء وهو يعمل ما يرى أنه الأفضل. ليس أحد منا كاملاً لكن الله في نعمته مازال يتعامل بمحبة معنا على النحو الذي نستطيع فهمه.

المعركة مع المديانيين

سمح الله لجدعون باصطحاب ثلاث مئة جندي فقط للحرب مع المديانيين حتى يعلّم شعب إسرائيل أن الله هو مصدر نصرتهم وليس القوة العسكرية. نستطيع أن نؤكّد هذه الفكرة بقراءة الآية ٢ من الأصحاح ٧ مشيرين إلى ميلنا كبشر إلى إرجاع الفضل لأنفسنا بدلاً من الله. يمكننا الاستعانة أيضاً بشواهد كتابية من العهد الجديد مثل (٢كو ٤: ٧ ، ١٢: ٩ ، وفي ٣: ٧ ـ ١١). لا حاجة لنا للخوض في سرد تفصيلي عن الطرق المختلفة التي شرب بها جنود شعب إسرائيل الماء حينما ذهبوا إلى حافة الماء فالفكرة الرئيسية هنا أن الله أراد تقليل أعدادهم إلى ثلاث مئة جندي.

ربما يجدر أن نقرأ الآيات ١٣ ـ ١٤ لجذب انتباه السامعين للخوف غير العادي الذي حل على المديانيين. عندما حلم أحد الجنود بأن رغيف خبز شعير يملكه رجل فقير سقط على أحد خيام المديانيين فقلبتها. اعتقد الرجل أن الحلم يعني أن شعب إسرائيل الفقير سيغير على معسكر المديانيين ويدمّره. في واقع الأمر كان المديانيون يستطيعون القضاء على الإسرائيليين بسهولة بالغة لكن هذا الخوف غير العادي أكّد النصرة لجدعون ثم نقرأ الآية ١٥ التي تعطينا كلمات مشجعة نقدمها

للسامعين.

تعتبر قصة هجوم شعب إسرائيل على معسكر المديانيين معروفة ولا نحتاج إلى قراءتها، ولكن يمكننا أن نصف بإيجاز كيف حلّت الفوضى على معسكر المديانيين في منتصف الليل حينما استيقظوا على أصوات مخيفة وأبواق وجرار تكسر وشعب إسرائيل يهتفون. بمجرد أن رأوا مئات من الأنوار حول المعسكر ظنوا أن جيش شعب إسرائيل كله يهجم عليهم. بدأ بعضهم يلوح بسيفه على كل شيء يتحرك في الظلام وهكذا قتلوا بعضهم بعضاً. أما البقية فقد هربوا لينجوا بحياتهم عائدين عبر وادي يزرعيل نحو معبر نهر الأردن.

كان ثلاث مئة جندي فقط من شعب إسرائيل قد اشتركوا في الهجوم على معسكر المديانيين، ولكن الآن انضم المزيد من الشعب في الحرب. يفضل أن نقرأ الآية ٢٣ فهي توضح قيمة ما تحدثنا عنه من قبل حول إعداد جدعون للجيش (انظر ٦ : ٣٥). لاحظ هنا أيضاً كيف أن الآية رغم أنها لا تبدو مثيرة للاهتمام فإنها تتجرد وتنبض بالحياة حينما نعلّق عليها ثم نقرأها بدلاً من أن نقرأها أولاً ثم نفسرها). علاوة على أن هذا الأسلوب يضفي التنوع على العظة فإنه يوفر وقتاً ثميناً. كذلك عندما نحصر قراءتنا في آيات مختارة من كل أصحاح فنحن نحافظ على تدفق العظة بقوة. في الوقت نفسه فإن رجوعنا المستمر للنص يحافظ على انتباه السامعين وشغفهم.

نصر ساحق

رغم أن القوة الرئيسية في جيش شعب إسرائيل جاءت من أسباط الشمال فقد أعد جدعون مجموعة من السبط الرئيسي في وسط أمة إسرائيل، وهو سبط أفرايم. كانت مهمة هذه المجموعة أن تستولي على معبر نهر الأردن وبهذا تقطع خط الرجعة على المديانيين. بعد أن نكون قد زودنا السامعين بهذه المعلومة نقرأ الآيات ٢٤ ـ ٢٥ مستعينين أيضاً بالخريطة في توضيح ما كان يحدث. نلاحظ أثناء قراءتنا أن مجموعة سبط أفرايم قتلت أميرين كانا قائدين لجيش المديانيين الهارب.

نواصل قراءة الآيات ١ ـ ٣ من الأصحاح ٨ بدون التوقف عند الفاصل بين الأصحاحات (ربما يجدر أن نوضح أن النص الأصلي لم يحتو على تقسيم بين أصحاحات). نجد في الآية ١ أن سبط أفرايم شعر بالإهانة لأن جدعون لم يدعهم للمشاركة في المعركة الرئيسية. سنجد في كل حقبة زمنية وبلد من يتذمر ويشكو بل إننا نجدهم في الكنيسة فالأشخاص الذين يعيشون حول ذواتهم يشعرون بالإهانة بسهولة والذين يحسدون غيرهم يتصيدون أخطاء الآخرين. لاشك أننا نستطيع أن نسهب في الحديث عن هذا الأمر ليس فقط لأننا نراه في الآخرين وإنما لأننا نحن أيضاً نقع فيه. غير أنه لا داع للإطالة في الحديث لأن معظم الأشخاص سيعون الدرس على الفور. ليست الصعوبة في هذه الحالات في معرفة الصواب وإنما في فعله.

ما لم يكن لدى جميع السامعين ترجمة سهلة للكتاب المقدس، فسوف

نحتاج إلى تفسير معنى عبارة جدعون «خصاصة أفرايم خيراً من قطاف أبيعزر». تشير الصورة البيانية إلى قطف العنب حيث يدعى المحصول الرئيسي بالقطاف والبقايا التي تجمع فيما بعد تسمى خصاصة. كان جدعون من عشيرة أبيعازر وقد أباد مع رجاله الكثير من المديانيين في المعركة الرئيسية (القطاف) في حين أن رجال أفرايم لم يقتلوا سوى القليل من المديانيين الهاربين عند عبر الأردن (الخصاصة).

غير أنه إذ علم جدعون بأن «الجواب اللين يصرف الغضب» (أم ١٥ : ١) طمأن رجال أفرايم بأن «قطاف عشيرته» لا يذكر إذا ما قورن «بخصاصتهم» لقد قاد عملية إبادة عظيمة للمديانيين (لمعرفة العدد ارجع إلى ٨: ١٠). غير أنهم لم يقتلوا سوى جنود مديانيين. على الناحية الأخرى ربما لم يقتل رجال أفرايم سوى قليلين إلا أنهم قتلوا اثنين من عظماء مديان. يقول جدعون «أسألكم ماذا قررت أن أعمل نظيركم؟» أعجب رجال أفرايم بهذا المدح، ويقول الكتاب «حينئذ ارتخت روحهم عنه عندما تكلم بهذا الكلام» من المؤسف أن نعترف بأن أية محاولة لاستمالة الكبرياء البشري تنجح في مسعاها. ونحن أيضاً قد نشعر برضا داخلي حينما يقول أحدهم شيئاً يشبع غرورنا.

أخطار النجاح

قد نفترض أن تنتهي قصة هزيمة مديان عند هذه النقطة، فإذا انتهت بالفعل لظل جدعون رجل إيمان (انظر عب ١١ : ٣٢) لم يقع

سوى في أخطاء قليلة. غير أن شخصيات الكتاب المقدس ليسوا قدوة في السلوك السليم باستمرار. يختفي في الجزء الباقي من قصة جدعون أي ملامح للاتكال على الرب، وهو ما رأيناه في الجزء الأول وبهذا يذكرنا بأخطار النجاح والقوة.

نظراً لضيق الوقت المتاح للوعظ فقد لا نستطيع تناول هذا الجزء الأخير بمزيد من التفصيل. غير أنه لابد أن نوضح للسامعين تسلسل الأحداث. كان المديانيون الذين هربوا عبر الأردن قد اوشكوا على الخروج من أراضي شعب إسرائيل وربما ظنوا أن القتال قد انتهى، إلا أن جدعون كان قد عزم على قتل الأميرين المديانيين ويبدو أن السبب الوحيد الذي كان يدفعه لذلك فهو لكي ينتقم لمقتل أخويه في الحرب. رفض قادة مدينتي شرق الأردن مساعدة جدعون ربما لأنهم خافوا من رجوع المديانيين ومهاجمتهم. واصل جدعون المطاردة بدون مساعدتهم وقبض على الأميرين المديانيين وعاد ليعاقب المدن التي لم تساعده ثم قتل الأميرين.

في هذه الأحداث تصرف جدعون كسائر ملوك الأمم المحيطة وليس من المدهش أنه سرعان ما أراد شعب إسرائيل تتويجه ملكاً عليهم. عند هذه المرحلة نستطيع أن نقرأ الآية ٢٢ من الأصحاح ٨ وبعدها الآية ٢٣ لنوضح أن جدعون رفض عرضهم مما يضاف إلى رصيده.

غير أن جدعون لم يكن قائداً مقدساً في وقت السلم كما كان في وقت أزمة المديانيين، فقد فعل ما فعله هارون حينما صنع رمزاً مادياً

للإله غير المرئي، وسرعان ما أصبح هذا الرمز موضع عبادة وثنية في إسرائيل (اقرأ الآية ٢٧) . رغم أن جدعون لم يكن ملكاً بالمفهوم الرسمي فإنه عاش حياته كملك، إذ كان له عدد كبير من الزوجات والسراري والأبناء من بينهم ابن سمي أبيمالك وهو اسم معناه «أبي ملك» (اقرأ الآيات ٢٩ ـ ٣١) .

ربّما نفضل ألا ننهي العظة بنبرة سلبية لكن هذا هو النحو الذي تنتهي به قصة جدعون. توضح حياته أنه ليس من السهل التعامل مع القوة والنجاح فهما يستطيعان أن يفسدا حياة شخص تقي. أظهر جدعون في إحدى فترات حياته اتكالاً على الرب وتكريساً لمقاصده بأن حرر شعب إسرائيل من سطوة المديانيين ولكنه لم يستطع أن يعيش على حساب اختبارات روحية سابقة. وهكذا نحن! فالمسيحية حياة تسير يوماً بعد يوم مع إله يطلب منا تكريسنا الكامل. ربما نشتهر مثل جدعون وغيره من أبطال سفر القضاة بأننا أشخاص مؤمنون. ولكن ينبغي أن نحفظ ذلك الإيمان حتى النهاية.

اقتراحات أخرى

قد يبدو في البداية أن المادة التي ذكرناها في المثال العملي الذي أوردناه أعلاه أكبر من أن تعالج في ثلاثين دقيقة. وهذا لأننا ندرس النص الكامل للأصحاحات الثلاثة وفي الوقت نفسه نوضّح الطريقة التي نتناوله بها. ولكن إذا قدمنا المادة كلها الموضحة أعلاه فإن ثلاثين

دقيقة تكفي تماماً لمعالجة الموضوع كاملاً.

يبلغ إجمالي عدد الآيات التي قرأناها (وقرأها السامعون) ثلاث وثلاثين آية ـ الأصحاح ٦ الآيات ١ ـ ٤ ، ١١ ، ١٤ ـ ١٦ ، ٢٥ ـ ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ـ ٣٥ ، الأصحاح ٧ الآيات ٢ ، ١٣ ـ ١٥ ، ٢٣ ـ ٢٥ ، الأصحاح ٨ الآيات ١ ـ ٣ ، ٢٢ ـ ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ـ ٣١. لكي نجعل هذه الآيات سهلة الرؤية أثناء الوعظ يمكننا رسم خط بجوار كل منها على هامش الكتاب المقدس حتى تكون واضحة. يجب أن تتوافق أرقام الآيات المكتوبة في أوراق العظة مع هذه العلامات حتى نستطيع التعرف على الآيات بسهولة بمجرد أن تنتقل أنظارنا من الأوراق إلى الكتاب المقدس.

كذلك نحتاج إلى ضبط الوقت لأنفسنا أثناء وقت الأداء التجريبي وكتابة عدد الدقائق لكل مرحلة في الورق. يمكن كتابة هذه الأرقام على الجانب الأيسر من الورق حتى تُوضّح لنا متى نبدأ كل قسم. ينبغي أن ندرّب أنفسنا لكي ننهي الحديث في الوقت المحدد.

تلخص عيّنة وريقات المنبر الواردة في صفحة (٨٣) مضمون العظة التي عرضناها في الصفحات ٧٥ ـ ٨٢. بمجرد أن تصبح لنا دراية بالأصحاحات التي سنتناولها من سفر القضاة والتطبيقات التي نريد استخلاصها منها فإن هذه الوريقات ستنعش ذاكرتنا أثناء الوعظ.

رغم أن عيّنة وريقات المنبر توضّح سمات معيّنة فليس القصد منها أن تصبح نموذجاً وإنما يقتصر دورها على توضيح إمكانية اقتصاد

مضمون صفحات عديدة للعظة في صفحة واحدة من الملاحظات التي تستحث الذاكرة وتنعشها. فمثلاً لم تصمم العناوين الخمسة الرئيسية لإعلانها على مسامع الحاضرين، وإنما لتساعدنا في لمح البصر على أن نعرف موضع حديثنا أثناء مواصلتنا لتقديم العظة. إذا أردنا إعلان العناوين فيجدر بنا أن نفكر في عناوين أكثر تشويقاً من تلك العناوين المذكورة في وريقة الملاحظات. ويتوقف اختيارنا سواء أردنا أن ننتقل عبر النص في تعليق سريع أو تقسيمه إلى فقرات إلى حد كبير على النقاط التي نريد التأكيد عليها في العظة.

كما يختلف كل منا عن الآخر في أسلوب الوعظ فإن كل منا يحتاج إلى البحث عن سبل لإدخال التنويع على أسلوبه. ليس الهدف من هذا المثال العملي تزكية أسلوب معيّن عن غيره وإنما ليوضّح لنا كيف نستخدم النص الكتابي كمادة للعظة بدون قراءة كل آية وتفسيرها.

جدعون ـ قضاة ٦ ـ ٨

مقدمة عن جدعون (٦ : ١ ـ ٢٤) : صفر

ـ نموذج متكرر ـ معنى «قضاة»

١ ـ ٤ ـ مديان ـ الطريق ـ غارات سنوية ـ غزة ـ نفتالي

١١ ـ جدعون من منسى ـ أبيعازر ـ خائف ويشك

١٤ ـ ١٦ ـ الله يطمئن ج ـ طبق ١٤ ، ١٦ (لاحظ أيضاً ٢١).

خطوة جدعون الأولى (٦ : ٢٥ ـ ٤٠) : ٦

٢٥ ـ ٢٧ البداية الفورية (قارن بما جاء في يو ٢ : ٥) ـ البيت هو الأكثر صعوبة
الخطوة الأولى: تدمير المذبح المزيف ـ لاحظ سمات البعل
الخطوة الثانية: بناء المذبح الحقيقي ـ خائف لكن مطيع ـ قارن بنا نحن.

٢٨ غضب عشيرة أبيعازر ـ جدعون ضد الرأي العام ـ المقاومة
٣١ تأييد من لا نتوقعه ـ الأب أول من آمن.
٣٣ ـ ٣٥ عشيرة أبيعازر تنضم إلى جدعون ـ تذكر الشرق ـ الأردن ـ يزرعيل ـ أسباط الشمال ـ إيمان جدعون يضعف ـ آيات ـ الله رحيم ـ قارن بنا نحن.

المعركة مع المديانيين (٧ : ١ ـ ٢٣) : ٦

٢ ٣٠٠ فقط في الهجوم الأول ـ تذكر ما يخص شرب الجنود قوة الله وليست قوتنا ـ (٢كو ٤ : ٧، ١٢ : ٩، في ٣ : ٧ ـ ١١)
١٣ ـ ١٤ خوف غير عادي في معسكر المديانيين ـ اشرح الحلم
١٥ طمأنة جدعون ـ جدعون يسجد لله ـ ثم يعمل خطة الهجوم ـ هلع المديانيين ـ هروب نحو الأردن
٢٣ انضمام قوة إضافية من شعب إسرائيل (انظر ٦ : ٣٥).

نصر ساحق (٧ : ٢٤ ـ ٨ : ٣) : ٢٠

٢٤ ـ ٢٥ أفرايم ـ عبر الأردن ـ قتل أميرين

شعور أفرايم بالإهانة ـ التمركز حول الذات، الغيرة ـ هل نحن أيضاً؟

«القطاف» «الخصاصة» (٨: ١٠) ترضية: انظر ما جاء في (أم ١٥) التملّث ـ مخاطبة الكبرياء والذات والغرور.

أخطار النجاح (٨: ٤ ـ ٣٥): ٢٥

الإيمان (عب ١١: ٣٢) لكن ليس دائماً ـ قارن بنا نحن.

خطة مطاردة جدعون للأميرين ـ الانتقام ـ المدن الإسرائيلية

٢٢ ـ ٢٣ تصرف جدعون كملك ـ الشعب يريده ـ يرفض

٢٧ صنع رمزاً (أفوداً) للإله غير المرئي ـ عبادة الوثن

٢٩ ـ ٣١ أسلوب حياة ملك ـ سراري، أبناء «أبيمالك»

هل ننهي بنبرة سلبية؟ أخطار النجاح والقوة

لا يمكن أن نعيش على حساب اختبارات روحية سابقة ـ

ثابت إلى النهاية ٣٠

(٩)
شرح العهد القديم (٢)

وعاظ أزمنة الكتاب المقدس

عندما نشرح أسفار أنبياء العهد القديم فنحن نتعامل إلى حد كبير مع عظات ألقاها أو كتبها أولئك الوعاظ الأقدمون. وهذا أكثر صعوبة من شرح سفر يغلب عليه الطابع السردي لأن الأسفار النبوية عادة لا تكون سردية. لا يمكننا شرح نصوص هذه الأسفار بالتعليق على آيات قائمة بذاتها ثم نملأ الفجوات بتقديم تلخيص للأحداث. عند شرحنا لعظات السفر النبوي سيتحتم علينا شرح معظم المادة، فبصفة عامة لن تكون الأسفار النبوية مألوفة بالنسبة للسامعين، ولا يمكننا أن نفترض أنهم يستوعبون الأجزاء التي نمر عليها مر الكرام. لذا سيكون علينا أن نتناول معظم الآيات.

في حالة أسفار الأنبياء الصغار (أو الأسفار الموازية لها في الحجم مثل الجامعة ونشيد الأنشاد) سيكون علينا أن نغطي النص بأكمله. يبلغ متوسط السفر في هذه الأسفار نحو ستة أصحاحات فقط، ويمكننا أن نعالجها كما نعالج رسائل العهد الجديد - ربما ليس بمزيد من التفصيل ولكن نستطيع على الأقل أن نعلّق على معظم الآيات. الأسفار التي تمثل صعوبة في الشرح في الاجتماعات هي الأسفار الأطول مثل إشعياء

وإرميا وحزقيال. سيكون مثالنا التطبيقي (العملي) من سفر إشعياء رغم أن كماً كبيراً من الاقتراحات يمكن تطبيقه أيضاً على أسفار الأنبياء الصغار. إذا عرفنا كيف نشرح نصوص سفر طويل فلن نجد صعوبة في شرح نصوص سفر أقصر.

فهمنا الشخصي

كلنا نعلم أن علينا أن ندرس أي سفر بأنفسنا قبل أن نعلّمه في الكنيسة ولكن في هذه الحالة ربما نحتاج إلى قضاء عدة أشهر في الدراسة قبل أن نستطيع حتى وضع خطة توضيح كيفية تعليمه. ربما نواجه في سفر أحد الأنبياء الصغار مثل صفنيا قدراً قليلاً من الصعوبة في إعداد عظتين أو ثلاث لأنه مهما بلغت درايتنا بالسفر أو انعدمت فإننا إذا بدأنا الإعداد قبل أسابيع من التعليم فسوف نستطيع أن نعلِّم السفر بثقة أكبر. غير أننا لا نستطيع أن نعلِّم أي جزء من سفر إشعياء بثقة إن لم نعرف جوهر السفر كله. قبل أن نحاول التفكير في كيفية تناول السفر ينبغي أن نعرف مضمونه والفواصل الطبيعية التي يمكن تقسيمه عندها حتى نستطيع أن نجعل رسالته واضحة للسامعين وتجد صدى عندهم.

كيف نعالج السفر

عندما ندرس سفراً كتابياً فلابد أن يكون هدفنا هو فهم قصد الكاتب وملاحظة كيف يتناوله عبر السفر. عندما نبدأ في شرح السفر ينبغي بقدر الإمكان أن نتعامل معه من منطلق الشكل الذي أخرجه به كاتبه.

غير أنه نظراً لمحدودية البرنامج الكنسي الذي يجب أن نحترمه سيكون علينا البحث عن طرق لتوفيق المادة لتتناسب وعدد العظات المتاحة.

شكاوى الله

ينتمي الأنبياء إلى خلفيات متباينة جاء بعضهم من الريف وآخرون من المدينة، كان بعضهم فلاحين وآخرون من حاشية الملك. كان إشعياء أحد ساكني أورشليم وقد أصبح من رجال الدولة البارزين ومستشاراً لعدة ملوك في يهوذا نستطيع أن نشير إلى الملوك المذكورين في الآية الافتتاحية، ولكننا لن نتوقف لنتحدث عنهم في هذه المرحلة. بإمكاننا أن نذكر أن أهمية دور آحاز في العظة التالية ودور حزقيا في العظة التي تليها. كذلك يمكن أن نذكر أن الأمة الإسرائيلية القديمة كانت آنذاك منقسمة إلى مملكتين وهما مملكة إسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب، ولكننا سنتناول هذا بمزيد من التفصيل في العظة التالية. أما في الوقت الراهن فإننا نشير إلى أن إشعياء يركز على يهوذا وعاصمتها أورشليم.

إذا كان سفر إشعياء مألوفاً لدى سامعينا فلعلهم قرأوا الأصحاح الافتتاحي على الأقل. لكنه قد يكون جديداً بالنسبة للبعض. غير أن النصف الأول إلى حد ما معروف خير معرفة، ولا يحتاج إلى الكثير من الشرح. ويمكننا أن نعرِّف السامعين بروح السفر من خلال قراءة الآيات العشرين الأولى (قراءة انتخابية) بأسلوب حر وقوي وكأن أحد أنبياء العهد القديم يتكلم به أمام السامعين. نستطيع أن نختار مسبقاً

آيات معينة ونعلق عليها قبل أن نقرأها ثم نقرأها بإحساس للكلمات.

نرى في المشهد الافتتاحي صورة دينونة حيث يتهم الله يهوذا بالعصيان وجحود المعروف، فالحيوانات تُظهر عرفاناً بمعروف سادتها أكثر من يهوذا لله (اقرأ الآيتين ٢ - ٣) فهي أمة من الخطاة وهم يستهينون به (اقرأ الآية ٤). لقد عاقبهم الله حتى صاروا مضروبين ومجروحين لكنهم لم يعيروه اهتماماً (اقرأ الآيتين ٥ - ٦)، وأرسل هجمات من الأعداء ليدمر بلادهم لكنهم لم يتغيروا (اقرأ الآية ٧).

نقرأ آية أخرى تعبر عن اتهام آخر من الاتهامات التي يوجهها الله لشعب يهوذا. يظنون أن الله يُسرّ بذبائحهم وأعيادهم الدينية، لكن لأن حياتهم مليئة بالخطايا فإنه يبغض هذه جميعها (اقرأ الآيات ١٠ - ١٥). لا يريد الله منهم أن يزيدوا أنشطتهم الدينية وإنما يغيروا سلوكهم، لابد أن يتحولوا عن خطيتهم ويظهروا الرحمة والعدل في تعاملاتهم اليومية (اقرأ الآيتين ١٦ - ١٧). لم يفت أوان نوال الرحمة فالله مازال مستعداً أن يرحمهم إذا ما ارتضوا أن يتوبوا (اقرأ الآية ١٨). لذا فهو يقدم لهم البدائل (اقرأ ١٩ - ٢٠).

إلى أين تقود الخطية؟

في الأصحاح الثالث يرسم إشعياء صورة حية لسقوط أورشليم. أثناء إعلان إشعياء لرسالته كانت أورشليم مازالت قائمة لكنه يوضح لشعب يهوذا (ولنا) إلى أين سيؤول حال مجتمع يستشرى فيه الجشع والظلم

والمصالح الشخصية.

نستطيع تناول هذا القسم إلى حد كبير مثلما تناولنا الأصحاح الأول رغم أننا سنضطر إلى إغفال بعض الآيات التي قد تحتاج إلى وقت أطول من الوقت المتاح في شرحها. يختلف هذا الأصحاح عن الأصحاح الافتتاحي فهو لا يحتوي الكثير من الأمور التي تتعرض لأمور روحية بصفة خاصة. لكن التطبيق الرئيسي يُستمد من الرسالة الإجمالية للأصحاح رغم أننا سنلاحظ شروراً اجتماعية محددة أثناء قراءتنا للأصحاح وإن كانت موصوفة بإيجاز أكثر. يحفل هذا الأصحاح بالأوصاف والبيان ويجب أن نكون قادرين على تخيل الصور التي يرسمها إشعياء لنا. يمكننا أيضاً أن نفكر في صور مناظرة من الوقت الحاضر تساعد السامعين على فهم الأمور التي يتحدث عنها إشعياء.

نرى في الصورة التي يرسمها إشعياء أن الدولة تنهار ويحدث نقص في الاحتياجات الأساسية مثل الطعام والماء (إقرأ الآية ١). ولم يعد هناك قادة صالحون أو أشرار ليقودوا البلاد (اقرأ الآيتين ٢ ـ ٣) وبالتالي ظهرت الفوضى والجريمة وتقع السلطة في أيدي شباب غير ناضجين (اقرأ الآيتين ٤ ـ ٥). تقدم لنا الآيتان ٦ ـ ٧ صورة حية لمحاولة مستميتة لإقناع شخص ما باستعادة النظام في مدينة ضربتها الفوضى ولكن قد لا يتاح لنا وقت كاف لشرح الآيات.

غير أننا نستطيع أن نجذب انتباه السامعين إلى سبب سقوط المدينة وهو عصيان الشعب ضد الله (اقرأ الآية ٨). كما يمكننا جذب الانتباه

إلى الجزء الأول من الآية ٩ حيث يتفاخر الشعب بالحرية الأخلاقية والسلوك المشين. لا نحتاج لإضافة الكثير على هذه الآيات فالسامعون يرون بالفعل أوجه التشابه مع المجتمع المعاصر.

نجد فكرة مهمة في الجزء الثاني من الآية ٢٠ حيث ينسب الله سبب سقوط الأمة إلى القادة. يمكننا أن نذكر السامعين أن المراكز القيادية كما يأتي معها قوة ومكانة كذلك أيضاً يأتي معها مسئولية. ولا يقتصر هذا على مجال السياسة وإنما الكنيسة أيضاً. وتعد كلمات الآية ١٢ تحذيراً جاداً لكل من هو في موقع قيادي منا.

الله ناقم بصفة خاصة على أولئك الذين يجورون على المواطنين الذين لا حول لهم ولا قوة ويستخدمون مناصبهم القيادية لزيادة ثرواتهم الخاصة. ويخص النبي هنا بحديثه القادة السياسيين للبلد (اقرأ الآيتين ١٤ ـ ١٥). كذلك يتحدث عن زوجات هؤلاء القادة اللاتي تتبرجن في ملابسهن وتتعالين في سلوكهن ولكنهن الآن ستتعرضن لذل شديد (اقرأ الآيتين ١٦ ـ ١٧). كذلك تواصل الآيات ١٨ ـ ٢٥ الطابع التصويري لهذا القسم إذ يصف النبي كيف سيحل الفقر والعار محل الغرور والفسق.

نستطيع باستخدام الخيال أن نضخ نوعاً من الحياة في تعليقنا على الأصحاح الثالث. رغم أن هدفنا الإجمالي هو أن نوضح (كما فعل إشعياء) أن العقاب سيحل بمجتمع يتسم بالأنانية والظلم، فإننا نستطيع أن نوجه الانتباه إلى نقاط أخرى تناسبنا في الوقت الحالي في إطار حديثنا (مثل الآيات ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥).

خطايا محددة

سننتقل الآن إلى الأصحاح ٥ حيث سنشير إلى خمس خطايا قادت إلى فساد أورشليم وحلول الدينونة عليها.

سيذكر بعض هذه الخطايا مرة أخرى في موضع لاحق من السفر إلا أن عظاتنا التالية لن تتعرض لها، وهذا يوضح محدداً كيفية اختيار المادة الكتابية واستخدامها؛ فنحن نطوعها حسب متطلبات الوعظ وفي الوقت نفسه نلتزم بالرسالة التي يقدمها كاتب الوحي. رأينا من قبل أن عظتنا الحالية ستتغاضى عن شواهد كتابية تتناول المستقبل المجيد لشعب إسرائيل لأنه سيكون موضوع عظة سنقدمها لاحقاً. على النحو نفسه فإن عظاتنا القادمة ستتغاضى عن الشواهد الكتابية التي تتعرض لهذه الخطايا الاجتماعية لأنها موضوع عظتنا الحالية.

علقنا من قبل على الآيات ثم قرأناها. أما في هذا الأصحاح فنستطيع أن نقرأ الآيات ثم نعلق عليها. السمة العامة للآيات التي تتعرض للخطايا الخمس هي أنها تبدأ جميعها بالكلمات نفسها «ويل لـ ...».

لتقديم الخطية الأولى نقرأ الآيتين ٨ و ٩. يقرض الأغنياء من أصحاب الأراضي المال للفقراء بفائدة مرتفعة للغاية ثم يستولون على أراضيهم حينما لا يستطيعون تسديد ديونهم. لكن الله سيحرم الظالمين من الأراضي التي حصلوا عليها بالظلم. لن نجد صعوبة في ذكر تطبيقات معاصرة للمبدأ الذي تقدمه هذه الآيات.

ننتقل إلى الآيتين ١١ و ١٢ حيث يدين النبي أولئك الذين يعيشون لإشباع لذاتهم فقط، وينتقد أسلوب حياتهم ليس فقط بسبب انحرافها وإنما لأنها - في المقام الأول - تقودهم إلى تجاهل الله. نرى هنا أيضاً التطبيقات من الحياة المعاصرة واضحة.

ثم نقرأ الآيتين ١٨ و ١٩ حيث يصور إشعياء الشعب وقد تثقلوا بالخطايا حتى صاروا يجرونها كما يجر الثور العربة (يمكن أن نستخدم تعبير «شاحنة») صاروا فخورين بالخطايا التي يرتكبونها ويتحدون الله أن يوقفهم.

نستخلص مثالنا الرابع من الآيتين ٢٠ و ٢١ وهو لا يحتاج إلى الكثير من الشرح. يقاوم البشر قوانين الله الأخلاقية ويدعون أنهم يعرفون كل شيء ولا يحتاجون إلى الله.

ختاماً لهذا القسم نقرأ الآيتين ٢٢ و ٢٣ حيث يعلق إشعياء تعليقات مسلية على الحياة الاجتماعية للأغنياء والأقوياء، فهم «أبطال زجاجات الخمر» و «ذوي القدرة على مزج المسكر» ولكنهم في العدل جبناء وضعفاء.

المهمة

في حالة نبوتي إرميا وحزقيال يبدأ وصف دعوة الله منذ الأصحاح الأول، أما في حالة نبوة إشعياء فلا نجد وصف الدعوة حتى الأصحاح السادس. ربما يرجع سبب هذا التأخير إلى أن نعرف من الأصحاحات

الخمسة الأولى مدى شر يهوذا وكم ستكون مهمة إشعياء صعبة.

سواء كان الأصحاح السادس معروفاً للسامعين أم لا فلسنا نحتاج إلى قراءة كل كلمة فيه. نستطيع بهدف التنوع أن نستخدم أسلوباً آخر في شرح النص وهو أن نقرأ الآيات التي نريد التركيز عليها ونقدم عبارات تصف ما جاء في الآيات الأخرى. نستطيع أن نصيغ بأسلوبنا وصف إشعياء لتجلي الله في المجد (الآيات ١ ـ ٤). ثم نقرأ الآية ٥. يعترف إشعياء بأنه نجس لأن الشعب الذي نعيش بينه نجس (كما أوضحنا في الأصحاحات الخمسة السابقة). لا يعني هذا أن إشعياء كان شريراً مثل سائر شعب يهوذا وإنما جميعنا نتأثر تأثيراً سلبياً بالمجتمع الذي نعيش فيه شئنا أم أبينا. كلما زاد إدراكنا لقداسة الله نستطيع أن نتطهر بنعمته (اقرأ الآية ٧) وهذا يذكرنا أيضاً بضرورة التطهر قبل القيام بعمل الرب.

عندئذ نستطيع قراءة الآية ٨ حيث يسأل الله عمن يحمل رسالته لهذا الشعب غير المشجع الذي تأملناه في الأصحاحات الخمسة فيتطوع إشعياء. لذا، يجيب الله في الآيتين ٩ ـ ١٠ بكلمات نستطيع صياغتها كما يلي «كلما وعظت سيرفضون سماع ما تقول بل إن قلوبهم سوف تصير مثقلة حتى أنه أصبح من الصعوبة أن يتوبوا وينالوا الغفران».

ليست هذه أخبار مشجعة لإشعياء فيسأل الله في الآية ١١ عن طول الفترة ـ ثلاثة أشهر؟.. عام؟.. خمسة أعوام؟.. يجيب الله بأن هذا سوف يستمر ويستمر ويستمر حتى تسقط الأمة، تُدمر أورشليم ويسبى الشعب إلى أرض أجنبية (الآيتان ١١ ـ ١٢).

لكن ليست هذه نهاية القصة؛ فمازالت رحمة الله المخلصة تعمل لتحقق مقاصده. ويعد الله بأن يحفظ القلة التقية ويصنع منها شعباً جديداً لنفسه.

يعطي الله هذا التأكيد لإشعياء بأسلوب توضيحي في الآية الختامية إذ تشبه الأمة التي بدا أنها قد ماتت شجرة عملاقة قطعت وحرقت ولم يتبق سوى جذلها (جزء من دعامتها) لكن هذه الدعامة ليست ميتة إذ يخرج منها زرع أخضر ينمو ليصبح شجرة أخرى. لن يكون عمل إشعياء بلا ثمر فسوف يتجاوب البعض مع كرازته وهؤلاء سيكونون هم الشعب الحقيقي لله. ربما يكونون قليلين لكن الله سيحفظهم وسيحفظ نسلهم حتى يجعل منهم شعباً جديداً. ستدمر أورشليم وقد يبدو أن الأمة قد ماتت وانتهت لكن الله سيواصلْ عمله.

كما أن إشعياء لم يعش ليرى نتيجة عمله بعد عدة أجيال جاءت بعده. هكذا نحن لا نستطيع أن نرى نتائج عملنا باستمرار. رغم أن علينا ألا نستخدم هذه الحقيقة كمبرر لعدم الإثمار فإننا نستطيع أن نتعلم من التكريس الذي ظهر في حياة إشعياء. ولنا أن نتأكد أن الله الذي دعا إشعياء وأطلقه للعمل مازال يعمل حتى اليوم.

مزيد من الاقتراحات

يتضح لنا من تأمل المثال العملي عن إش ١ ـ ٦ أن قراءتنا تشمل أكثر الآيات الثلاثين التي تمثل العدد المناسب لعظة واحدة. لكن علينا

أن نتذكر أن في الأصحاحات ١ و ٣ لا نكتفي بتقديم الآيات وقراءتها لنسمح لها بأن تؤثر. كذلك نحن لا نحتاج إلى أن نقرأ كل جزء من كل آية؛ ففي بعض الحالات يمكننا أن نقرأ النصف الأول وفي حالات أخرى نكتفي بالنصف الثاني من الآية. أما الآيات التي نعلق عليها بشكل أكثر تفصيلاً هي آيات الأصحاحين ٥ ، ٦ ولكن هنا العدد يكاد يصل إلى ١٥ آية وهو عدد مناسب للشرح في النصف الثاني من العظة.

نستطيع إذا فضّلنا ذلك أن نضع علامات على الكتاب المقدس بدلاً من تحضير وريقات وعظ لاستخدامها على المنبر. يمكننا وضع خطوط بجوار الآيات التي نريد أن نقرأها وباستخدام قلم جاف جيد الصنع نكتب ملاحظات تذكرنا بالتعليق والشرح. يمكن وضع رقم وعنوان فوق كل قسم من الأقسام الأربعة التي اخترناها لجذب الانتباه للقسم التالي. عندما نبدأ في تطوير أسلوبنا في الوعظ يمكننا وضع نظام للعلامات والرموز والألوان يمكننا من الانتقال بين أجزاء النص الكتابي والملاحظات في حرية وثقة.

(١٠)
شرح العهد الجديد (١)

مادة كثيرة ولكن الوقت ضيق

تشبه طرقنا في شرح نصوص العهد الجديد إلى حد كبير خطوات شرح نصوص العهد القديم ولكن هنا تقل قدرتنا على تغطية أقسام طويلة في وقت قصير. العهد الجديد يختلف في نوعه عن العهد القديم فمثلاً لا يحتوي على أجزاء كبيرة من السرد الذي ينقل صورة تصف مئات السنين من تاريخ الأمة، كما أنه لا يحتوي على أسفار كبيرة من المزامير المنتخبة وأقوال الحكمة والرسائل النبوية حيث يساعدنا تكرار الأفكار على شرح سفر بدون شرح كل أصحاح. يعد جزء كبير من العهد الجديد تعليماً مباشراً غالباً ما يكون هذا التعليم في شكل رسائل لا يمكن إيجازها بسهولة. والعهد الجديد يحتوي على مزيد من التعليم وسرد أقل إذ ما قورن بالأسفار السردية للعهد القديم.

وكما هو الحال في العهد القديم فإننا نواجه صعوبة كبرى في شرح نصوص الأسفار الأكبر في العهد الجديد. فليس من المرجح أن ننهي أكثر من أصحاح واحد في العظة الواحدة (بل إن معظمنا يفضل تغطية ما يقل عن أصحاح) وهو الأمر الذي قد يعني أننا نحتاج إلى عدة أشهر

لتغطية سفر يتكون من أكثر من عشرة أصحاحات.

لذلك دعنا ننظر الآن إلى كيفية التعامل مع أحد أسفار العهد الجديد الطويلة. سيكون مثالنا العملي هو إنجيل يوحنا. عندما نعظ عن أناجيل متى أو مرقس أو لوقا فإن مهمتنا تصبح أسهل إلى حد ما نظراً لما تحتويه أجزاء كثيرة من قصص أو ما يماثلها في الأناجيل الأُخرى. لكن عندما نعظ من إنجيل يوحنا فالأجزاء السردية والمشابهة أقل إذا ما قورنت بالأناجيل الأخرى، كما أن معظم أصحاحاته طويلة. بالطبع لسنا مضطرين إلى الالتزام بتقسيمات الأصحاحات في وعظنا غير أنها في إنجيل يوحنا تعد مرشداً جيداً لنا لأنها إلى حد كبير تسير مع التقسيمات الطبيعية للإنجيل.

إذا أردنا أن نقدم عظات تغطي إنجيل يوحنا كاملاً لكننا خشينا أن يمل الناس من سلسلة العظات المطولة فإنه يمكننا تقسيم السفر إلى جزءين (الأصحاحات ١ ـ ١٢ و١٣ ـ ٢١). ربما نفقد جزءاً من التأثير الإجمالي للإنجيل لكن ربما يكون هذا هو الثمن الذي ندفعه للمحافظة على انتباه الناس. إذا احتجنا إلى أكثر من اثنتي عشرة عظة لتغطية الأصحاحات الاثني عشر الأولى فيمكننا تقسيمها إلى أكثر من هذا وزيادة عدد العظات للأصحاح الواحد، لكن قدراً كبيراً من هذا يتوقف على عدد العظات التي يتيحها برنامج الكنيسة.

سنبني مثالنا العملي على وضع اثنتي عشرة عظة تغطي الأصحاحات الاثني عشر الأولى من إنجيل يوحنا. لا حاجة للالتزام

الحرفي بتغطية أصحاح واحد بالتحديد في كل عظة ولكننا بهدف التدريب سنفترض أن هذا هو الأسلوب الذي سوف نتبعه. يتناول مثالنا الأصحاح ٧ والهدف من المثال هو أن يوضح لنا كيف يمكننا تناول أصحاح طويل في عظة تفسيرية. لسنا نريد التوقف عند آيتين أو ثلاث آيات مفصلة وفى الوقت نفسه لا نريد أن نمر على آيات الأصحاح كلها مر الكرام، بل نريد قراءة النص وشرحه وتطبيقه حتى يصبح النص نفسه رسالتنا التي نقدمها، نريد أن يتحدث الكتاب المقدس نفسه للآخرين.

الدراسة والإعداد

رأينا من قبل أن الشرط الأساسي لهذا النوع من الوعظ هو معرفة النص والدراية به. وبدون هذه المعرفة سنجد صعوبة في تطبيق الأساليب النظرية. سنفترض في المثال العملي أننا أكملنا الدراسة التجهيزية وعلينا الآن أن نقرر كيفية تناول المادة. موضوع هذا الأصحاح هو ظهور الرب يسوع في عيد المظال في أورشليم.

لنفترض أننا بعد دراسة الأحداث وتسلسل الأصحاح توصلنا إلى أن العنوان المناسب هو «مشكلة الإرادة». إذا أردنا أن نقدم للسامعين أكثر من عنوان أثناء العظة فيمكننا أن نضع بعض العناوين التي ترتبط بهذا العنوان الرئيسي. يمكننا على سبيل المثال التركيز على سمات الإرادة البشرية التي يتعرض لها الأصحاح (الكبرياء، التحامل، العناد، الازدراء.. إلخ) أو قد نركز على أنواع مختلفة من البشر (الأقرباء،

المواطنون، القادة الدينيون، المؤمنون الحقيقيون، إلخ) . وهذه الأمور تعتمد إلى حد كبير على أسلوب الواعظ وليست ما يركز عليه مثالنا العملي الذي يتناول شرح النص الكتابي وهو ما يعد مسئوليتنا الأولى باستمرار، لكنه مازال يتيح لنا فرصة ترتيب أجزاء مادة العظة حسب أسلوب كل منا.

بداية العيد

كمقدمة لهذا الأصحاح ينبغي أن نقدم تعليقاً موجزاً على عيد المظال اليهودي. كان هذا العيد احتفالاً سنوياً يقيم فيه الشعب في خيام مؤقتة إحياء لذكرى السنوات التي أمضاها أسلافهم في البرية. كذلك كان العيد وقت احتفال يميز نهاية السنة الزراعية وكان يتضمن في زمن الرب يسوع سكباً يومياً للماء تعبيراً عن الشكر لله على خطاياه المانحة للحياة من خلال الطبيعة.

لا حاجة لقراءة مزيد من الآيات في هذا القسم لكننا نستطيع أن نخبر السامعين أنه بعد بداية العيد ذهب يسوع إلى أورشليم غير أنه حاول تحاشي الدعاية. كان هذا أمراً صعباً لأنه كان شخصاً يُثار جدل عظيم حوله وكانت آراء الناس متباينة بشأنه.

يمكننا أن نذكر هنا نصيحة بسيطة أخرى تساعدنا على الانتقال على نحو سلس عبر النص الكتابي. لقد اقترحنا من قبل رسم خط في الهامش لتمييز الآيات التي نقرأها بصوت مرتفع. أما بشأن الآيات

التي نغفلها أو نلخصها فيمكننا أن نضع خطاً فوق الكلمات المحورية في النص نفسه بدلاً من تدوينها في وريقات المنبر وهذا يوفر مساحة فيها ويمكننا رؤية الكلمات الرئيسية في النص بدون قراءة كل عبارة.

منتصف العيد

هذا جزء محوري في العظة ونبدأه بقراءة الآيات ١٤ ـ ١٧ ونوضح فيه كيف أن يسوع انتظر حتى منتصف الأسبوع لكي يكرز إذ بدأت إثارة الناس أثناء ذلك الوقت تتضاءل وأصبح من الممكن أن يسمعوا ما يقول بمزيد من التعقل والفهم.

كان للناس كعادتهم آراء مختلفة حول يسوع وتعليمه لكنه أوضح لهم أن رسالته لم تكن فلسفة أو حكمة شخصية، وإنما رسالة من الله ـ فإن خضعوا لله وكانوا مستعدين لعمل مشيئته فإنهم سيميزون المصدر الإلهي لتعاليمه. لم تكن مشكلتهم في الذهن وإنما في الإرادة، ومازالت هذه مشكلة الكثير من الناس حتى اليوم.

سيكون بين السامعين مؤمنون وغير مؤمنين وينبغي أن نستغل الفرصة أن نضع أمامهم تحدي الإنجيل. لا نحتاج أن نفرض على الكتاب المقدس قول لم يقصده المعنى الأصلي للكاتب. غير أن علينا إدراك أوجه تطبيق الكتاب المقدس في كل عصر. فالطبيعة البشرية تظل كما هي إلى حد مذهل بغض النظر عن العرض أو الثقافة أو الحقبة الزمنية، والاتجاهات التي واجهها يسوع هي الاتجاهات نفسها

التي نقابلها اليوم (أو تلك الاتجاهات التي واجهها الأنبياء في أزمنة العهد القديم) . لذا علينا أن نؤكد الحقيقة التي يعلنها يسوع في الآية ١٧ ونقتبس كلماتها حينما نواجه صعوبات أخرى ترتبط بالإرادة البشرية في موضع لاحق من الأصحاح.

نبدأ القراءة من الآية ٢٥ مستعينين بتعبير وخيال يساعد السامعين على تخيل المشهد في أورشليم حيث يتناقش الناس بخصوص يسوع «أليس هذا...» «ألعل...» ثم نقرأ رد يسوع حيث يستخدم بعضاً من كلماتهم ليوضح لهم مدى ضيق نظرتهم. ونختم بالآية ٢٩ حيث يشير معنى أقوال يسوع أن مكانه الأصلي في السماء.

عندما رأى الناس في العيد معنى كلمات يسوع اغتاظ البعض لكن البعض آمن. هذا يتيح لنا فرصة لنجعل السامعين يرون أنهم لا يستطيعون اتخاذ موقف حيادي تجاه يسوع. نستطيع أن نؤكد على هذه الحقيقة بإيضاح أوجه التباين بين الآيتين ٣٠ و ٣١.

لكي نوضح هذه الفكرة يمكننا أن نقرأ الآيات ٣٣ ـ ٣٥. أرسل قادة اليهود حراس الهيكل للقبض على يسوع ولكنهم عجزوا على عمل أي شيء. قال لهم يسوع (وإن كان ليس بالكلمات نفسها) إنه لن يموت إلا في الوقت الذي بينه أبوه، وبعد ذلك الوقت سيقوم من الموت ويرجع إلى السماء وهي المكان الذي لن يجده فيه أعداؤه لأنهم لن يذهبوا إليه. عدم الإيمان يحرم الناس من السماء وهذه حقيقة تحمل قيمة مباشرة لسامعينا.

نهاية العيد

يمكننا عند تقديم القسم الأخير أن نشير إلى ذروة العيد ورمزية سكب الماء. قد يساعد الماء على مواصلة الحياة للجسد، لكن الرب يسوع يقدم ما هو أفضل (اقرأ الآية ٣٧) . لا يقدم يسوع ماء عادياً وإنما ماء حياً (نشير هنا إلى حديث السيد المسيح للمرأة السامرية عن الماء الحي) وهو ما يستطيع إشباع أعمق احتياجات البشر من خلال تغييرهم من الداخل لكن الذين يدركون مدى احتياجهم ويطلبون منه هم وحدهم الذين يشربون هذا الماء. وهنا أيضاً نجد أن العامل المحدد هو الإرادة أكثر من الذهن. «إن عطش أحد فليأت إليّ».

نواصل القراءة موضحين من الآيتين ٣٨ و ٣٩ أنه عندما يأتي الإنسان إلى المسيح بالإيمان فإنه يتغير تماماً حتى أن الحياة الجديدة تفيض نحو الآخرين. وهذه إشارة إلى الحياة المملوءة بالروح القدس وهي الحياة التي يريدها الرب يسوع لكل شعبه. ينبغي أن نستغل الفرصة لنذكر السامعين (وأنفسنا) بأن المسيحية ليست مجموعة من المعتقدات عن المسيح وإنما هي حياة تعاش بالاتحاد معه.

علينا مواصلة التقدم لنوضح كيف انتهى هذا العيد. نقرأ الآيات ٤٠ ـ ٤٢ باستخدام الأسلوب الخيالي نفسه الذي قرأنا به الآيات ٢٥ ـ ٢٧، ونلاحظ مرة أخرى الفارق الذي يتضح لنا بين المؤمنين وغير المؤمنين. لا يمكننا اتخاذ موقف حيادي من يسوع.

في تلك الأثناء كان حراس الهيكل قد رجعوا إلى قادة اليهود ولكن

بدون يسوع. ينبغي أن نقرأ شهادتهم القوية في الآية ٤٦ لأننا نثق أن السامعين بدأوا يشعرون الشعور نفسه وهم يتأملون كلمات يسوع. وفي الوقت نفسه ربما يتضايقون من قادة اليهود عندما (نقرأ الآيات ٤٧ ـ ٥٢) أكد هؤلاء القادة في غرور بلا حدود أن الناس الذين آمنوا بيسوع هم فقط جماهير الجهال وغير المتعلمين، أما النخبة والمتعلمون فلم يؤمن به أحد منهم! كان هذا الإعلان إعلاناً جريئاً لكنه قد لا يكون صحيحاً لأن نيقوديموس الذي آمن وهو واحد منهم توسل إليهم بأن يسمعوا يسوع على الأقل، لكنهم رفضوا طلبه في ازدراء.

لم يكن قادة اليهود يريدون معرفة الحق وإنما كان شغلهم الشاغل هو التخلص من يسوع. ولأنهم وجهوا إرادتهم بعناد ضد يسوع فإن أذهانهم لم تستطع أن ترى الحق. كانوا مثالاً حياً للحق الذي تكلم عنه يسوع في وقت سابق، إذا ارتضى البشر أن يخضعوا لله فإنهم سيفهمون الحق (اقرأ الآية ١٧ مرة أخرى)، غير أنه بدون هذا الخضوع فإنهم سيبذلوا أقصى جهد لتجنب مواجهة الحق. المشكلة ترتبط بالإرادة البشرية، لهذا، يدعونا الكتاب المقدس باستمرار إلى التوبة والإيمان لأنه بدونهما لن نستطيع نيل الحياة التي يقدمها الله.

مزيد من الاقتراحات

رغم أن الأصحاح يضم ٥٢ آية فإننا لم نطلب من السامعين أن يقرأوا سوى ثلاثين. قمنا بتغطية المحور الرئيسي للأصحاح وقدمنا

تطبيقات للنص من شأنها تحفيز السامعين وقبل هذا وذاك جعلنا النص هو مضمون العظة. ينبغي أن تكون صلاتنا أنه عندما يفهم الناس معنى الأصحاح يستجيبون في طاعة. نستطيع أن نقدم كل هذا الوعظ والصلاة بمزيد من الكلمات والتأثير بقدر يفوق هذا المثال، ولكننا نحتاج دائماً إلى أن يأتي تأثير عظتنا من الكتاب المقدس لا من أنفسنا.

دعونا نذكر أنفسنا مرة أخرى أنه رغم أن هدفنا من الوعظ التفسيري هو إشباع الشعب بكلمة الله فينبغي ألا نستنزف المعنى لكل آية. ينبغي أن تكون غايتنا بناء الناس روحياً ولكن ينبغي ألا نجعلهم يظلون معتمدين على وعظنا، وإنما نريدهم أن يستنيروا أثناء متابعتهم للكلمة المقدسة معنا على نحو يجعلهم يريدون قراءة المزيد بأنفسهم حينما يرجعون إلى منازلهم. وبمجرد أن يبدأ هذا في الحدوث نصير بذلك قد حققنا شيئاً له أثر دائم.

(١١)
شرح العهد الجديد (٢)

أمثلة وليست قوالب

توضح الأمثلة الواردة في هذا الكتاب طرقاً لتناول أنواع مختلفة من النصوص الكتابية ولكنها ليست قوالب. بمعنى أنه ينبغي ألا نعتقد أن مثال إنجيل يوحنا قالب يجب الالتزام بكل تفاصيله عند تناول كل سفر طويل من أسفار العهد الجديد. تحتوي جميع الأمثلة التطبيقية التي نقدمها على عناصر قد تفيد أو لا تفيد في تناول الأسفار الأخرى. ففي مثالنا من إنجيل يوحنا بعض السمات التي قد لا تكون فعالة في سفر آخر من أسفار العهد الجديد وإن كان بالطول نفسه.

عندما نتأمل عدداً من الأمثلة التطبيقة لا نرى كيفية تناول أنواع محددة من الأسفار الكتابية فحسب وإنما نتعلم كيف نكون مرنين في تناولنا لجميع الأسفار الكتابية. وبهذا يمكننا التوصل إلى طرق للتعامل مع النص مهما كان قصيراً أو طويلاً، سهلاً أو صعباً.

من الجوانب الهامة التي لم نتناولها بعد هي الخلفية التاريخية لأحد أسفار الأنبياء في العهد القديم أو إحدى رسائل العهد الجديد. نظراً للطريقة التي اتبعناها في تناول نبوة إشعياء فإننا لم نقدم خلفية تاريخية في

بداية العظة الأولى، غير أنه في معظم الأحيان يتحتم علينا تقديم الخلفية قبل محاولة شرح النص. يتناول هذا الفصل بصفة رئيسية شرح نص من إحدى رسائل العهد الجديد لكنه يحتوي أيضاً على مثال يوضح الطريقة التي يمكننا أن نقدم بها خلفية السفر للسامعين. فإذا لم يعرف السامعون من هو الكاتب ولمن كتب ولماذا؛ فليس من المرجح أن يفهموا مضمون رسالته. يتناول مثالنا التطبيقي رسالة تسالونيكي الأولى.

التكيف مع الوقت المتاح

تعد رسائل العهد الجديد القصيرة (وكذلك أسفار الأنبياء القصيرة) أسهل الأسفار في تعليمها في سلسلة من العظات وذلك في العديد من الأوجه؛ وهي أنها تحتوي على أصحاحات أقل ومن ثم يمكن تقديم هذه الأسفار على نحو يتناسب مع برنامج العظات في الكنيسة. يمكننا افتراض أننا مُنحنا أربعة أسابيع لتغطية سفر مكون من أربع أصحاحات بل ربما نُعطى فترة أكبر ونادراً ما تكون أصغر.

يمكننا على أساس تقديم أصحاح في كل عظة أن نتوقع الحصول على ثمانية أسابيع لتناول رسالتي بولس الرسول إلى أهل تسالونيكي - خمسة أسابيع للرسالة الأولى وثلاثة للرسالة الثانية. لكن معظم أصحاحات رسالتي تسالونيكي تعد قصيرة إذا ما قورنت بمثيلها في رسائل أخرى وقد يكفينا فترة ستة أسابيع - أربعة للرسالة الأولى وأسبوعان للرسالة الثانية. وفي كلا الطريقتين فإن عظتنا الأولى عن رسالة بولس

الأولى لأهل تسالونيكي سوف تتضمن خلفية عن الرسالة (وهي مستمدة إلى حد ما من سفر أعمال الرسل) إلى جانب الأصحاح الأول. سواء كنا سنتناول الأصحاحات المتبقية في أربع عظات أم ثلاث فينبغي أن تكون لدينا قدرة على تنسيق المادة على نحو يناسب الوقت المتاح.

عندما نقدم خلفية للرسالة ينبغي أن نطلب من السامعين قراءة الآيات المناسبة للمقام من سفر أعمال الرسل أو الكتابات الأخرى حتى يروا المعلومات بأنفسهم. وسيؤدي هذا إلى تقليص عدد الآيات التي سوف نستطيع قراءتها من الرسالة في العظة الافتتاحية غير أن علينا أن نحرص على أن تكون الرسالة نفسها الجزء الرئيسي من العظة وليست الخلفية التي نقدمها. نريد الدخول إلى عمق الرسالة وألا نختم عظتنا بالتحيات الافتتاحية المذكورة في أول آيتين أو ثلاث آيات.

يمكن أن يتاح لنا وقت كاف لتقديم الخلفية بالاستعانة بعشر آيات فقط من الرسالة تسالونيكي الأولى لكن علينا أن نقاوم في الأصحاح الأول الرغبة في الإفراط في تقديم تفاصيل من سفر أعمال الرسل. يجدر بنا أن نمضي الوقت في تقديم أجزاء أخرى من الرسالة مما سيزود السامعين بمعلومات إضافية ويعطيهم أن يتذوقوا نكهة السفر. كذلك سيوفر لنا وقتاً في العظات التالية حينما نقوم بشرح تلك الأجزاء من الرسالة.

تأسيس الكنيسة في تسالونيكي

ثمة ضرورة للاستعانة بخريطة في تقديم خلفية عن رسالة تسالونيكي بعد أن طلبنا من السامعين استخراج أع ١٧ : ١ نوضح (بمساعدة الخريطة) أن بولس وصحبته سيلا وتيموثاوس انتقلوا من فيلبي إلى تسالونيكي، وهما مدينتان من مدني مكدونية في شمال اليونان القديمة. يمكننا عندئذ أن نلخص كيف أنهم - على مدار الأسابيع الثلاثة التالية كرزوا في المجمع وآمن كثيرون. وهذا يأتي بنا إلى الآية ٥ التي نقرأها. حقد اليهود على نجاح بولس واستطاعوا بمساعدة مثيري الشغب أن يقودوا مظاهرة وهاجموا بيت ياسون وهو المكان الذي ظنوا أن بولس يقيم فيه. نواصل الحديث لنلخص كيف أنهم عندما لم يجدوا بولس جروا ياسون أمام قادة المدينة واتهموه بإيواء متمردين من اليهود. أجبر القادة ياسون بدفع غرامة كضمان لعدم حدوث شغب مرة أخرى ثم أطلقوه (اقرأ الآية ٩).

ربما كان معنى الضمان الذي قدمه ياسون أن يغادر بولس المدينة وألا يعود مرة أخرى (على الأقل في المستقبل القريب). نجح بولس وصحبته في الهروب سراً وذهبوا إلى مدينة مكدونية أخرى وفي مدينة بيرية (اقرأ الآية ١٠). وهنا أيضاً حيثما آمن كثيرون آثار اليهود شغباً واضطر بولس أن يهرب مرة ثانية. وفي هذه المرة هرب إلى أثينا وسرعان ما تبعه سيلا وتيموثاوس (اقرأ الآيتين ١٤ ـ ١٥).

رغم أن سفر أعمال الرسل يتتبع خط سير رحلات بولس فهو لا

يذكر جميع تحركاته بالتفصيل وإنما يركز على الأمور التي تناسب الهدف.

على الناحية الأخرى فإن كتابات بولس تخلو من أي سرد زمني لرحلاته وإنما تشتمل على الأمور التي تهمه ولم يذكرها سفر الأعمال. عندما نقرأ سفر أعمال الرسل بالارتباط مع كتابات بولس نحصل على الصورة الأشمل للأحداث.

فمثلاً نعرف من رسالة تسالونيكي الأولى أنه عندما التقى سيلا وتيموثاوس ببولس في أثينا أرسلهما مرة أخرى إلى كنائس مكدونية التي كانت قد جاء منها مؤخراً، ونعلم أن تيموثاوس ذهب إلى تسالونيكي ويرجح أن سيلا قد ذهب إما إلى فيلبي أو بيرية. لا نطلب من السامعين حتى هذه المرحلة قراءة أي شواهد كتابية وإنما نكتفي بتقديم معلومات لهم عالمين أننا سنأتي إلى الشواهد الكتابية المناسبة للمقام بعد وقت قصير.

في تلك الأثناء نروي كيف ترك بولس أثينا حيث كانت الكرازة صعبة ولم يؤمن سوى قليلين. نستطيع تلخيص ذلك في عبارات قليلة ثم نطلب من السامعين قراءة أع ١٨ : ١ . بعد أن نذكر أن بولس عبر إلى كورنثوس نقوم بتلخيص النجاح المبكر الذي اختبره هناك. ثم نقرأ الآية ٥ ومنها نعرف أن سيلا وتيموثاوس وصلا إلى كورنثوس قادمين من مكدونية حاملين إلى بولس أخبار الكنائس هناك. دفعت الأخبار

التي جاء بها تيموثاوس من تسالونيكي إلى كتابة ما نعرفه باسم الرسالة الأولى لأهل تسالونيكي. والآن ننتقل إلى تلك الرسالة.

يكتب بولس إلى أهل تسالونيكي

هدفنا الأول من الانتقال إلى الرسالة إلى تسالونيكي هو أن نوضح للسامعين كيف أن تؤكد ما سبق أن تعلمناه من سفر الأعمال. لذا فقبل أن نبدأ الشرح سنتناول أربعة أقسام من الرسالة. ورغم أننا لن نعلن ذلك فهذا أسلوب مفيد في توضيح أهمية الخلفية المستمدة من أعمال الرسل للسامعين في فهم رسائل بولس.

عندما نطلب من السامعين الانتقال إلى الرسالة إلى تسالونيكي فمن الطبيعي أنهم سيفتحون كتبهم على الأصحاح الأول، لذا نجذب انتباههم إلى الآية الافتتاحية في مقدمة موجزة، وتشير هذه الآية إلى أن سيلا وتيموثاوس كانا مع بولس في كورنثوس حينما كتب رسالته. ورغم أننا أشرنا إلى أحد الجوانب الجذابة والمثيرة للاهتمام فعلينا الانتقال بسرعة إلى عنصر آخر. نطلب من السامعين الانتقال إلى الآيتين ١٧ ـ ١٨ من الأصحاح الثاني.

هنا يشير بولس إلى رحيله السريع من تسالونيكي، كان من الواضح أن تيموثاوس أتاه بأخبار تفيد بأن بعض مؤمني تسالونيكي قد تعجبوا لأنه تركهم بمثل هذه السرعة. نشعر في رد بولس بنبرة قلب منكسر، اذ يشبه ألم فراقه عنهم بألم فقدان أعز الأحباء. لكنه

لم يفارقهم بالروح ولديه اشتياق قوي ليراهم وقد حاول مرة تلو أخرى أن يزورهم لكن في كل مرة يعوقه الشيطان. نستطيع أن نقرأ أيضاً الآيتين ١٩ ـ ٢٠ ونعلق عليهما حسب كمية النص التي سنقوم بتناولها في العظات التالية وهدفنا هو أن نؤكد محبة بولس لأهل تسالونيكي وفرحه بتقدمهم الروحي.

تتيح هذه الآيات لنا الفرصة لتقديم تعليق رعوي على خطورة إطلاق أحكام على دوافع الآخرين. لم يكن السبب في عدم رجوع بولس إلى تسالونيكي الجبن أو عدم اهتمام من جانبه. ربما الضمان الذي قدمه ياسون إلى القادة المحليين هو السبب في إعاقة رجوع بولس. لا نعرف التفاصيل لكننا نعلم أن إبليس يضع جميع أنواع المعطلات في طريق خدام الله. يمكننا تقديم أمثلة واقعية لتأكيد معنى هذه النقطة للسامعين.

تظهر نقطة مهمة أخرى في الآيات التالية وبالتحديد في الآيتين ١ ـ ٢ من الأصحاح ٣. يشعر بعض الأشخاص بالإحباط بسهولة لكن بولس ليس كذلك. عندما لم يستطع العودة إلى تسالونيكي لم يكتف بالبقاء بلا عمل أو الشكوى من ضيقه وإنما عمل ثاني أفضل شيء وهو إرسال تيموثاوس بدلاً منه.

رغم أنه من الممكن أن يضع إبليس معطلات في الطريق فلسنا مضطرين للاستسلام له. ينبغي أن نكون إيجابيين ونبحث عن سبل للتغلب على هذه المعطلات، رغم أننا قد نكتشف مثلما اكتشف بولس أن الأمر سيضطرنا إلى تقديم تضحيات شخصية كبيرة. في حالة بولس

كان عليه أن يفارق شركاء الخدمة الذين يساندونه لأنه حينما أرسل تيموثاوس وسيلا إلى مكدونية تُرك وحيداً في مواجهة الصعوبات في أثينا. تؤكد الآيتان ١ ـ ٢ ما قرأناه في أع ١٧. إن الحقيقة التي واجهها بولس ونواجهها جميعاً اليوم هي أن الخدمة بالنيابة عن الآخرين تتطلب التضحية بما نفضل وما نستريح إليه.

يمكننا مواصلة التعليق فننتقل إلى الآيات ٣ ـ ٥ لكنِ هذا أيضاً يتوقف على كمية المادة التي سنقوم بتغطيتها في العظات التالية. نختم هذا الجزء من القراءات بأن نطلب من السامعين تأمل الآية ٦ والتي ترتبط بما جاء في أع ١٨ : ٥ يعود تيموثاوس من تسالونيكي ويلاقي بولس في كورنثوس بالأخبار التي تفيد بأن كنيسة تسالونيكي تنتقل من قوة إلى قوة. تغمر الفرحة قلب بولس ويجلس ليكتب الرسالة التى نوشك أن نقرأها الآن.

أمور مهمة أخرى

عند هذه المرحلة نكون مستعدين لشرح الأصحاح الأول لكن قبل أن نبدأ في الشرح ربما يمكننا تقديم نبذة مختصرة عن الأخبار الأخرى التي جاء بها تيموثاوس إلى بولس من تسالونيكي. كانت الجماعات المقاومة للمسيحيين تضطهد الكنيسة وكانت الكنيسة مضطربة بسبب قلة من الأشخاص الأنانيين الذين انتقدوا بولس ظلماً. لم يستوعب بعض الأشخاص المعايير الأخلاقية الجديدة التي تطلبها منهم المسيحية، في حين تكاسل البعض الآخر في أعمالهم واعتمدوا على عطف الآخرين

بلا مبرر. كذلك سادت بعض المفاهيم الخاطئة عن مجيء المسيح ثانية وموضوعات أخرى مرتبطة بهذا المجيء.

لا حاجة لنا إلى العودة للآيات التي تتناول هذه الأمور لأننا سنفعل ذلك أثناء تقدمنا في الرسالة. لكننا بذلك نكون قد أعددنا السامعين لما سيأتي فيما بعد. رغم أن هذه الأمور مزعجة فإن كنيسة تسالونيكي مثلها مثل أية كنيسة معاصرة مكونة من بشر عاديين. وبمجرد أن نرى ما كان بولس يقوله لهم نستطيع أن نرى ما يقوله الله لنا.

أكثر من مجرد خلفية

تختلف معالجتنا للعظة الافتتاحية عن الرسالة إلى تسالونيكي اختلافاً طفيفاً عما قد نكون خططنا له وهذا يرجع بصفة رئيسية إلى عدم التساوي في الطول بين أول أصحاحين. نجد في نهاية الأصحاح الأول فاصلاً طبيعياً (ويتكون الأصحاح الأول من عشر آيات فقط) لكن الفاصل الطبيعي التالي لا يأتي قبل الآية ١٦ من الأصحاح الثاني. الحد الأدنى من الوقت اللازم لتقديم خلفية عن الرسالة إلى تسالونيكي هو ١٠ دقائق، وهذا يعني إذا أردنا الوصول إلى نهاية الأصحاح الثاني فعلينا تناول ما يقرب من أصحاحين في أقل من عشرين دقيقة. فإذا قدمنا الموضوع بسرعة أكثر من اللازم وأسرعنا في شرح ما يقرب من أصحاحين فإننا بذلك قد نتناول أكثر مما يمكن أن تحتمله فترة ثلاثين دقيقة.

أما إذا قررنا الاكتفاء بالأصحاح الأول في عظتنا الافتتاحية فإننا

بذلك نوسع نطاق المادة التي علينا تناولها في العظات التالية. ومن ثم فإننا نتوقف عند نهاية الأصحاح الأول، ولكننا نذكر في الخلفية الإضافية معلومات من الأصحاحات الأخرى. وهذا أمر له ميزة مزدوجة أولاً يعطي السامعين مذاقاً أفضل للسفر، وثانياً يوفر لنا الوقت فيما بعد حينما لا نحتاج سوى إلى التطرق إلى أجزاء شرحناها من قبل. على حد تعبير آخر، كانت الخلفية التي قدمناها أكثر من مجرد مجموعة من المعلومات فقد تضمنت شرحاً لأجزاء هامة من النص وقدمت تطبيقات عملية. فمن الممكن أن ينسجم السامعون بالفعل مع النص حتى إذا أنهينا عظتنا في نهاية الأصحاح الأول.

مسيحية حقيقية

نبدأ الأصحاح الأول بقراءة الآيتين ٢ و ٣ وجذب انتباه السامعين لإشارة بولس إلى الإيمان والرجاء والمحبة. غير أنه لابد أن نقاوم الرغبة في تقديم عظة صغيرة عن الفكرة المعزية التي يطرحها بولس. يمكننا أن نعلق على الأشياء التي يصلي من أجلها بولس والصفات المرغوبة في المؤمنين لكننا سنضطر إلى مواصلة التقدم إلى نقطة أخرى، فهدفنا هو أن نبني على أساس المعلومات التي قدمناها عن كنيسة تسالونيكي في مقدمتنا على أن نجذب الانتباه إلى نقطتين. نجد النقطة الأولى في الآيات ٤ ـ ٧ وترتبط بالإيمان الحقيقي ونجد النقطة الثانية في الآيات ٨ ـ ١٠ وترتبط بالغيرة في الخدمة.

كان أحد براهين صدق إيمان أهل تسالونيكي هو أسلوب تمسكهم بالإنجيل. لقد قبلوا رسالة الإنجيل لا كفلسفة جذابة وإنما باعتبارها رسالة من الله بقوة قادرة على تغيير الحياة. لم يأت اقتناعهم إثر كلمات مؤثرة عن طريق كارزين وإنما بواسطة الروح القدس الذي اخترق قلوبهم بالحق الإلهي. غير أن دور الكارزين مهم لأن حياتهم تؤكد رسالة التي يكرزون بها. نجد هذا كله مذكوراً في الآيتين ٤ ـ ٥ ويقدم لنا مجالاً واسعاً لتطبيق التعليم على جميع المعاصرين من الناس والكارزين والسامعين.

تطرح الآيتان ٦ ـ ٧ نقطة أخرى تتعلق بالإيمان الحقيقي فأولئك الذين سمعوا بولس يكرز في تسالونيكي رأوا المقاومة التي لقيها هناك وأكد لهم أنهم إذا آمنوا بالإنجيل سيواجهون أيضاً مقاومة. لم يحث بولس الناس على قبول الإنجيل كوسيلة رخيصة للحصول على مكاسب أرضية ومن ثم فلم يستجب الناس مع رسالته بدوافع خاطئة. كانوا يعلمون ماذا ينتظرهم إذا آمنوا برسالة الإنجيل لأنهم رأوا ذلك في بولس كما أخبرهم هو بذلك في لغة واضحة (اقرأ أيضاً ٢ : ٢ ـ ٣ و٣ : ٣ ـ ٤).

كانت الحياة المسيحية الوحيدة التي عرفوها هي حياة اضطهاد لكن الفرح الذي أظهروه وسط المحن جعلهم مثالاً لغيرهم من المسيحيين. وهنا نجد مجالاً واسعاً لطرح تحديات وتشجيع أثناء توضيحنا لكلمات بولس وتطبيقها.

رحلة تبشيرية حماسية

لم يكن أهل تسالونيكي مثالاً في الصمود وسط الاضطهاد فحسب وإنما في حماسهم لنشر رسالة الإنجيل (اقرأ الآية ٨). نعتقد أحياناً أن الصمود عمل سلبي مثل السكون أمام الهجمات أو احتمال الصعوبات ولكنه كان عملاً إيجابياً بالنسبة لكنيسة تسالونيكي. فلم يتراجعوا أو يقبعوا ساكنين وإنما واصلوا التقدم للأمام. كانت الطريقة التي شجعوا بها كنيستهم هي توسيع دائرة العمل الكرازي في المناطق المجاورة. لم يكن بولس في حاجة إلى أن يحكي للآخرين عن حماس كنيسة تسالونيكي إذ بدا أنه معروف للجميع! لم يعتبر مؤمنو تسالونيكي الكنيسة مجرد نادٍ أقيم لفائدة أعضائه وإنما نظروا إليها باعتبارها قاعدة يستطيعون من خلالها الوصول إلى الضائعين والمحتاجين وتقديم رسالة الحياة لهم.

نستطيع جميعاً أن نتعلم من مثال كنيسة تسالونيكي بإمكاننا أن نضع ما يذكره بولس في هذه الرسالة كتحد أمامنا وأمام السامعين. ربما نشعر بالخجل حينما نقارن أنفسنا بمسيحيي القرن الأول ولكن لا داع لأن نترك السامعين وهم يشعرون بالهزيمة. يختم الأصحاح بنبرة مبتهجة وهكذا ينبغي أن نختم عظتنا.

بينما نقرأ ونعلق على الآيتين ٩ ـ ١٠ فإننا نذكر كيف يتحدث بولس عن التغيير الذي حدث في هؤلاء المؤمنين كانوا من قبل يعبدون الأوثان ويفتقرون إلى الحياة لكنهم صاروا الآن خدام الإله الحي. ورغم أنهم

مضطهدون فإن لهم نصيب في حياة الرب المقام، فحيث إنهم تألموا معه فسيملكون معه. وهكذا يستطيعون أن يتطلعوا في فرح إلى مجيء المسيح ثانية فهو الديان البار الذي سيمنحهم تاج البر، وليس هم فقط وإنما كل من يشتاق إلى مجيئه (٢ تيمو ٤ : ٨).

(١٢)
تنظيم برنامج التعليم

مهمة قادة الكنيسة

إذا كنا قادة في الكنيسة فنحن مسئولون عن إطعام الرعية التي أوكلها إلينا الله. من أكثر الصور الكتابية لقادة الكنيسة هي صورة الراعي الذي يرعى الرعية التي ائتمنه عليها الله (يو ٢١: ١٥ ـ ١٧؛ أع ٢٠: ٢٨؛ ١بط ٥: ١ ـ ٤).

ما تركز عليه هذه الصورة هو أن المسئولية هي مسئولية الراعي وليست الرعية. علينا أن نأخذ زمام المبادرة في تقديم الغذاء السليم للرعية، ولا يمكننا إنكار مثل هذه المسئولية سواء على أمل أن يشعر شخص آخر بروح الله يقوده بمشاركة بعض الأفكار من الكلمة المقدسة أو آملين أن نحصل على بعض الأفكار الخاصة حينما نقترب من كل فرصة للوعظ، وإنما علينا أن ندبر كيفية حدوث ذلك بأفضل الطرق. الراعي الصالح لا يكتفي بمجرد الأمل في أن تلقى رعيته الغذاء المناسب تماماً مثلما لا يكتفي الآباء الصالحون بالتمني في أن يجد الأبناء غذاءهم.

عندما ذكر بولس قادة كنيسة أفسس بمسئوليتهم عن إطعام الكنيسة ذكرهم أيضاً كيف أنه أطعمهم من قبل. كان قد علمهم كل مشورة الله تاركاً لهم نفسه مثالاً يحتذوه (أع ٢٠ : ٢٧ ـ ٢٨). علينا أن نتوصل لطرق نستطيع بها أن نقدم للكنيسة وجبة متوازنة من التعليم الذي يغطي جميع جوانب الإعلان الإلهي. وهذا يشمل تقديم عظات عن أسفار منفصلة وكذلك موضوعات عن العقيدة والتطبيقات المستمدة من الكتاب المقدس كله. ليس هدفنا مجرد نقل للمعرفة وإنما خدمة احتياجات الكنيسة.

للكنيسة في أي مكان

غالباً ما نواجه صعوبة في صياغة البرامج والجداول الزمنية. يطرح البرنامج الوارد في هذا الكتاب أحد الطرق التي نضمن بها أننا نقدم للكنيسة وجبة متوازنة من التعليم. ينبغي أن نتعامل مع البرنامج باعتباره مجرد مرشد وليس أكثر، وألا نعتقد أن علينا تنفيذه بكل تفاصيله. يمكن تغيير البرنامج بحيث يناسب كنائس كثيرة. وقد استفادت بالفعل بلدان كثيرة من هذا البرنامج على مر سنين طويلة.

الخطة أ

الربع	القسم	المادة	عدد العظات
الربع الأول	عهد قديم	يشوع، قضاة، راعوث، مزامير	٦ عظات
	عهد جديد	أعمال	٦ عظات
	موضوعات	البيت والمجتمع	٦ عظات
الربع الثاني	عهد قديم	الأمثال	٦ عظات
	عهد جديد	الرسالة إلى رومية	١٢ عظة
	موضوعات	الكنيسة والإرسالية	٦ عظات
الربع الثالث	عهد قديم	إرميا ومراثي إرميا	١٢ عظة
	عهد جديد	متى	٦ عظات
	موضوعات	سلطان الكتاب المقدس	٦ عظات
الربع الرابع	عهد قديم	تكوين	٦ عظات
	عهد جديد	الرسالة إلى أفسس، رسالة بطرس الأولى، رسالة بطرس الثانية، يهوذا	٦ عظات
	موضوعات	الله	٦ عظات

الخطة ب

الربع الأول	عهد قديم	ملوك الأول، ملوك الثاني، أخبار الأيام	١٢ عظة
	عهد جديد	يوحنا ١ ـ ١٢	٦ عظات
	موضوعات	الحياة المسيحية والخدمة	٦ عظات
الربع الثاني	عهد قديم	إشعياء ١ ـ ٣٩	٦ عظات
	عهد جديد	الرسالة الأولى إلى كورنثوس، الرسالة الثانية إلى كورنثوس	١٢ عظة
	موضوعات	تاريخ الكنيسة	٦ عظات
الربع الثالث	عهد قديم	حزقيال، هوشع، يوئيل	٦ عظات
	عهد جديد	مرقس	٦ عظات
	موضوعات	الخطية والخلاص	٦ عظات
الربع الرابع	عهد قديم	خروج	٦ عظات
	عهد جديد	الرسالة إلى كولوسي، فليمون، رسالة يوحنا الأولى، الثانية، الثالثة	٦ عظات
	موضوعات	شخص المسيح وعمله	٦ عظات

الخطة ج

الربع الأول	عهد قديم عهد جديد موضوعات	صموئيل الأول، صموئيل الثاني، مزامير خلفية عن العهد الجديد الأخلاقات المسيحية	٦ عظات ٦ عظات ٦ عظات
الربع الثاني	عهد قديم عهد جديد موضوعات	الجامعة، نشيد الأنشاد الرؤيا الكنيسة والإرسالية	٦ عظات ١٢ عظة ٦ عظات
الربع الثالث	عهد قديم عهد جديد موضوعات	من عاموس إلى صفنيا لوقا المجيء الثاني للمسيح	١٢ عظة ٦ عظات ٦ عظات
الربع الرابع	عهد قديم عهد جديد موضوعات	اللاويين، عدد الرسالة إلى غلاطية، الرسالة الأولى إلى تسالونيكي، الرسالة الثانية إلى تسالونيكي الروح القدس	٦ عظات ٦ عظات ٦ عظات

الخطة د

الربع الأول	عهد قديم عهد جديد موضوعات	عزرا، نحميا، أستير، أيوب يوحنا ١٣ ـ ٢١ الحياة المسيحية والخدمة	٦ عظات ٦ عظات ٦ عظات
الربع الثاني	عهد قديم عهد جديد موضوعات	إشعياء ٤٠ ـ ٦٦ الرسالة إلى العبرانيين، رسالة يعقوب الديانات الأخرى، والعبادات	٦ عظات ١٢ عظة ٦ عظات
الربع الثالث	عهد قديم عهد جديد موضوعات	دانيال من حجي إلى ملاخي متى، مرقس، لوقا السماء والجحيم	٦ عظات ٦ عظات ٦ عظات
الربع الرابع	عهد قديم عهد جديد موضوعات	تثنية الرسالة إلى فيلبي، الرسالة إلى تيموثاوس، تيطس شخص المسيح وعمله	٦ عظات ١٢ عظة ٦ عظات

يختلف النظام الأسبوعي من كنيسة لأخرى، لذا لا يحاول البرنامج تغطية جميع أنشطة الكنيسة وإنما يقوم على فكرة بسيطة وهي تغطية سنة في المرة الواحدة مع تقسيم السنة إلى أربعة أقسام. وعلى سبيل التسهيل يضم كل ربع اثني عشر أسبوعاً وهو ما يترك أسبوعاً حراً.

يضم كل أسبوع عظتين وبهذا يحتوي الربع على أربع وعشرين عظة (يمكننا عند مناقشة هذا البرنامج استخدام كلمات مثل «حلقة» بدلاً من «عظة» و «اجتماع» بدلاً من «خدمة» و «تعليم» بدلاً من «وعظ» نظراً لأن البرنامج يتيح الفرصة لمجموعات الدراسة والمناقشات إلى جانب العظات المنبرية) ستخصص واحدة من العظتين الأسبوعيتين إلى الخدمة الرئيسية في يوم الأحد، وهو ما سنصفه بالاجتماع (١). يمكن تقديم الحلقة الأسبوعية الثانية في خدمة يوم أحد آخر (مثلاً عن العائلة، أو خدمات قوافل أو تعليم سواء في الصباح أو المساء)، أو إحدى مجموعات الدراسة في منتصف الأسبوع. وهذا ما سنسميه الاجتماع (٢). يمكننا توسيع البرنامج أو تصغيره بحيث يغطي عدداً أكبر أو أصغر من الاجتماعات حسبما نرغب ولكن يمكننا الاعتماد على الخطة البسيطة للاثنى عشر أسبوعاً (٢٤ حلقة) والعمل من خلالها.

بعض الأسفار أو الموضوعات أكثر ملاءمة للاجتماع (١) وجزء كبير من السبب سوف يتوقف على الغرض من الاجتماع وطابعه والفئات

التي تحضره. غير أنه إذا عولجت موضوعات وأسفار كتابية بطريقة سليمة سوف يستفيد الجميع سواء كانوا مؤمنين أم لا، فالناس يتجاوبون مع الكتاب المقدس حينما يسمعون شرحاً واضحاً له ويرون تطبيقه على حياتنا المعاصرة.

رغم ما قد يقدمه البرنامج من فائدة وعون فينبغي أن يكون تركيزنا دائماً هو جودة الوعظ. لا يستطيع البرنامج أن يقدم أكثر من وضع إطار للتعليم أما فائدة التعليم سوف تعتمد إلى حد بعيد على الشخص الذي يقدمه. غير أن رغم ما قد يكون من عجز في المعلمين فإن البرنامج لا يتطلب من الكنيسة أكثر مما لديها بالفعل؛ فمعظم الكنائس لديها بالفعل ما يوازي الاجتماع (١) والاجتماع (٢). لكن ميزة هذا البرنامج أنه يساعد على أن يكون للتعليم في تلك الاجتماعات خطة وهدف شامل بدلاً من أن يكون عشوائياً أو على نحو ارتجالي.

يعتبر البرنامج على سبيل التسهيل أن وقت التعليم المتاح في كل اجتماع ثلاثون دقيقة. قد نحتاج في بعض الأحيان إلى تقليل هذه الفترة وفي أحيان أخرى يمكن زيادتها غير أننا مازلنا نستطيع الاستعانة بهذا البرنامج كإطار يمكن التخطيط من خلاله.

وجبة متوازنة

يتكون البرنامج من ثلاثة جوانب للتعليم، وهي العهد القديم والعهد

الجديد والموضوعات. حيث إننا قسمنا السنة إلى أربعة أقسام فإن كلاً من هذه الجوانب الرئيسية يُقسم إلى أربعة أجزاء حتى تستطيع الكنيسة في كل ربع الحصول على تعليم من العهد القديم وآخر من العهد الجديد وآخر من موضوعات هامة. إذا تأملنا المضمون الشامل للأربعة أرباع سنكتشف أن الكنيسة عبر العام تحصل على تعليم حول أسفار كتابية وموضوعات رئيسية.

كل من الخطط الأربع المقررة لسنة واحدة والموضحة في الصفحات ١٢٢ ـ ١٢٤ يختلف عن الآخر غير أنها جميعها تتبع النمط نفسه وجميعها تحتوي على التوازن نفسه في توزيع الأسفار والموضوعات الكتابية. فإذا استعنا بهذا البرنامج على مدار أربعة أعوام متتابعة سنغطي أسفار الكتاب المقدس وجميع الجوانب الرئيسية للعقيدة المسيحية والنواحي التطبيقية.

غير أنه عند بداية تنفيذ البرنامج يفضل ألا نفكر في الأعوام الأربعة كلها وإنما نكتفي بالتخطيط المنظم لعام واحد فقط (مثلاً الخطة أ) ونلاحظ كيف يتجاوب شعب الكنيسة. كثيرون يترددون في تبني برامج طويلة المدى خوفاً من الانخراط في النظام مما يحرمهم من الحرية. بالطبع ترددهم يوضع في الاعتبار إلا أنهم ربما يحتاجون أن يفكروا في وضع خطة عامة للسنة كلها. يشعر معظم الناس بالتشويش إذا أفرطنا في عرض التفاصيل مقدماً لكن على الأقل ينبغي أن نطلعهم بانتظام

ببرنامج الأسابيع أو الشهور المقبلة. كذلك ينبغي أن نشجعهم على قراءة الأجزاء الكتابية المناسبة للمقام في البيت استعداداً للعظات التالية التي ستقدم في الكنيسة.

أثبتت التجربة أن برنامج السنة الواحدة عادة ما يسير على ما يرام وسرعان ما نجد أنفسنا نبدأ في وضع برنامج العام التالي (الخطة ب). إذا سار هذا أيضاً على ما يرام فإننا ننتقل في العام التالي إلى البرنامج التالي الذي يغطي عاماً كاملاً (الخطة جـ). يمكن السير حسب هذا النظام بلا انقطاع لأننا إذا أنهينا الأعوام الأربعة نرجع مرة أخرى للبرنامج الأول. لا يعني هنا إعادة تقديم عظات الأعوام الأربعة السابقة وإنما اتباع الإطار العام نفسه. علينا في حدود هذا الإطار ابتكار طرق جديدة لتناول الأسفار والموضوعات الكتابية.

هذا يأتي بنا إلى التفاصيل العملية. كيف نخطط برنامج الوعظ في كنيستنا المحلية في حدود إطار برنامج وعظ السنة الواحدة؟.

وضع التفاصيل

سوف نسهل مهمتنا إذا خططنا تخطيطاً مسبقاً جيداً (يفضل قبل ستة أشهر) وتناولنا كل ربع سنة وحده. بالطبع سوف يشمل المتكلمون عدداً من الوعاظ الذين لديهم المهارة المناسبة من شعب الكنيسة إلى جانب الوعاظ المدعوين من أماكن أخرى. كذلك يتيح البرنامج فرصاً لتنمية

المهارات الداخلية في الكنيسة. فنحن نريد أن يستخدم المؤمنون المواهب التي منحهم الله إياها وينبغي أن نبحث عن موضوعات ومواقف مناسبة تساعدهم على هذا النمو.

معظم الوعاظ يسرون بتناول أي سفر أو موضوع نطلبه منهم. وعندما نخبرهم قبل ستة أشهر سيكون أمامهم متسع من الوقت للإعداد حتى لو كان الموضوع غير مطروق. قد يحتاج المتدربون على الوعظ من شعب الكنيسة إلى بعض الإرشادات في الإعداد لكن يجب إتاحة الحرية للوعاظ الآخرين لتناول الموضوع بأسلوبهم.

فعلى سبيل المثال قد يتناول أحد الوعاظ سفراً كتابياً بإعطاء تفسير صريح وتطبيق في حين يقوم آخر بتتبع الموضوع في السفر. قد يختار واعظ أجزاء معينة أو آيات في حين يفضل آخر تناول شخصيات أو موضوعات مختارة في السفر. الاختلاف في التناول يضمن تنوعاً لا بأس به. وعندما نصل إلى السفر نفسه بعد أربعة أعوام فمن المؤكد أن المعالجة ستختلف عن سابقتها.

المرونة مهمة عند وضع برنامج الاجتماعات لكل ربع. ليس المقصود من عدد الحلقات الموضحة في البرنامج سوى أن تكون مرشداً ويمكن زيادته أو تقليله ليناسب احتياج الكنيسة. بالطبع لا حرج في مقاطعة البرنامج أو إعادة تنظيمه مع الإعلام قبلها بوقت قصير بهدف تناول

موضوع مهم أو قضية عاجلة أو غير متوقعة.

أمثلة عملية

توضح الأمثلة العملية في الصفحات التالية كيف يمكن تنظيم الربعين الأول والثاني من الخطة (البرنامج) أ. سيختلف توزيع الموضوعات بين الاجتماع (١) والاجتماع (٢) حسب طابع الاجتماع. تتسم بعض الأسفار الكتابية بملاءمة أكبر للوعظ في الاجتماعات العامة، في حين بعض الأسفار الأخرى تناسب بشكل أكبر حلقات المناقشة. يفترض المثالان العمليان أن الاجتماع (٢) اجتماع أسبوعي منتظم ولذا فقد تغير جزء من برنامجه عند مراحل معينة إذ أدخلت مزامير مختارة. غير أنه إذا كان الاجتماع (٢) يمثل مجموعات لدراسة الكتاب المقدس في البيوت فربما يفضل ألا نقاطع السلسلة وإنما ننتقل تباعاً حتى تنتهي. في هذه الحالة يمكن توزيع العظات الست التي تتناول البيت والمجتمع على الاجتماع (٢) والعظات الست التي تتناول المزامير على الاجتماع (١) أو العكس.

عند وضع تفاصيل كل ربع علينا أن نحاول الحفاظ على التوازن فنحن نريد الاستمرارية والاتساق لاسيما عند تناول سفر كتابي غير أننا في الوقت نفسه نحتاج إلى التنويع. ينبغي أن يتمتع الشخص الذي يخطط التفاصيل بمعرفة فعالة بالكتاب المقدس لكي يعرف كيف يتناول

الأسفار المختلفة.

رغم أننا قد نفضل أن يقوم متكلم واحد بتناول سفر بالكامل فإننا على سبيل التنويع قد نختار غير ذلك في بعض الأحيان. فمثلاً في حالة سفر القضاة بمجرد أن يقدم المتكلم الأول المقدمة أو العرض المناسب للسفر يستطيع متكلمون آخرون تناول القضاة الأربعة المذكورين. ولكننا لا نحبذ حدوث هذا الاختلاف في جميع الأسفار. على سبيل المثال من بين أسفار الحكمة سفر الأمثال وهو سفر يمكن تناوله بواسطة طرق عديدة ووعاظ متنوعين، غير أن سفر الجامعة يحتاج إلى شخص واحد ليتناوله كاملاً. يمكننا أن نسمح لمتكلمين كثيرين بتناول أجزاء من إنجيل متى لكن ليس من المرجح أن نعمل الشيء نفسه مع رؤيا يوحنا اللاهوتي.

لا يعني إدراج أحد الأسفار الكتابي في البرنامج أن علينا تناول السفر كله. لاحظ أن رغم ورود أسفار يشوع وقضاة وراعوث في الربع الأول فإننا نجد أننا لم نتعرض لسفر يشوع (إذ يمكن إرجاؤه إلى وقت آخر) كذلك الحلقات التي تتناول سفر القضاة تقوم بشكل رئيسي على شخصيات مختارة.

الخطة أ - الربع الأول

	الاجتماع (١)	الاجتماع (٢)
٣ يناير	العبادة الحقيقية (مز ٥٠)	الأرض ملك الله (مز ١٠٤)
١٠ يناير	الله الذي لا يتغير (مز ١٠٢)	المؤمن والأسرة
١٧ يناير	بهجة الغفران (مز ٣٢)	المؤمن المجتمع
٢٤ يناير	(يحدد فيما بعد)	المؤمن والدولة
٣١ يناير	من هم القضاة؟ (مقدمة ومسح لسفر القضاة)	تحقيق أعظم استفادة من الحياة (مز ٩٠)
٧ فبراير	دبورة (قض ٤ ـ ٥)	لماذا يزدهر الأشرار؟ (مز ٧٧)
١٤ فبراير	جدعون (قض ٦ ـ ٨)	الكنيسة الناشئة (أع ١ ـ ٧)

٢١ فبراير	يفتاح (قض ١٠ ـ ١٢)	الكنيسة النامية (أع ٨ ـ ١٢)
٢٨ فبراير	شمشون (قض ١٣ ـ ١٦)	الكنيسة المرسلة (أع ١٣ ـ ١٥)
٧ مارس	ناعومي، وراعوث، وبوعز (را ١ ـ ٤)	(يحدد فيما بعد)
١٤ مارس	المؤمن والعمل	بولس يذهب إلى أوروبا (أع ١٦ ـ ١٨)
٢١ مارس	المؤمن وقت الفراغ	تضامن الكنائس (أع ١٩ ـ ٢٠)
٢٨ مارس	المؤمن والألم	هزيمة تحولت إلى نصرة (أع ٢١ ـ ٢٨)

الخطة أ ـ الربع الثاني

	الاجتماع (١)	الاجتماع (٢)
٤ أبريل	تمييز الكنيسة عما هو ليس كنيسة	ما سر أهمية الخلاص (رو ١)
١١ أبريل	المواهب في الكنيسة المحلية	يمكن للديانة أن تكون خادعة (رو ٢)
١٨ أبريل	الشركة في الكنيسة المحلية	ليكن الله صادقاً (رو ٣)
٢٥ أبريل	استراتيجيات الكرازة بين الشباب	السلام بالإيمان (رو ٤ ـ ٥)
٢ مايو	تعلم حكمة الله (من أم ١ ـ ٩)	(يحدد فيما بعد)
٩ مايو	اضبط نفسك (من أم ١ ـ ٩)	السلوك في جدة الحياة (رو ٦)

١٦ مايو	لا تثر المشاكل (من أم ١ ـ ٩)	الحياة العتيقة والحياة الجديدة (رو ٧ ـ ٨)
٢٣ مايو	(يحدد فيما بعد)	ثقة المؤمن (رو ٨)
٣٠ مايو	كيف أخطأ شعب إسرائيل (رو ٩ ـ ١٠)	تحدي الوصول إلى عالم بعيد
٦ يونيه	عائلة الله العظيمة (رو ١١)	تحدي ديانات العالم المتطرفة
١٣ يونيه	المؤمن في المجتمع (رو ١٢ ـ ١٣)	كلمات حكمة عن الغضب (من أم ١٠ ـ ١٧)
٢٠ يونيه	الحقوق والامتيازات (رو ١٤ ـ ١٥)	كلمات حكمة عن المال (من أم ١٨ ـ ٢٤)
٢٧ يونيه	فكر دائماً إلى الأمام (رو ١٥ ـ ١٦)	كلمات حكمة عن الطموح (من أم ٢٥ ـ ٣١)

إذا رأينا أن ست عظات غير كافية لتغطية سفر أعمال الرسل يمكننا زيادة العدد، ويمكننا ذلك عن طريق تقليل عدد العظات الخاصة بسفر أو موضوع آخر في ذلك الربع أو يمكن استغلال الحلقات التي بعنوان «يحدد فيما بعد». عندما ننظر إلى الأمام نلاحظ أننا وضعنا مقدمة عن العهد الجديد من البرنامج جـ وهذه قد تكون فرصة جيدة للتعرف إلى سفر الأعمال. (على نحو مشابه فإذا رأينا أن العظات الست غير كافية لتغطية إنجيل متى أو مرقس أو لوقا فبإمكاننا أن نستخدم هذه الطريقة لمزيد من المعالجة في الخطة د).

عند الانتقال إلى المثال العملي للربع الثاني من الخطة أ نلاحظ كيف أن طريقة معالجة سفر الأمثال توضح لنا أسلوباً آخر لتناول سفر كتابي؛ فبدلاً من تناول أصحاح تلو الآخر مع تقديم عرض تفسيري لكل آية فإننا نتناوله مع موضوعات مختارة نجدها متناثرة عبر أنحاء السفر. إذا دعونا عدداً من المتكلمين لتناول هذه الموضوعات فإن تقسيم الأصحاحات يقدم لهم مناطق محددة ليعملوا خلالها مما يخفف الضغط على فترة الإعداد. في هذه الحالة ليس بالضرورة أن تكون العظات متتابعة إنما يمكن تقديمها فرادى أو في صورة عظتين متتابعتين ثم بعد فترة عظتين أخرتين وهكذا. وهذا يتوقف على الكيفية التي نريد بها تنظيم الأجزاء الأخرى من البرنامج.

تختلف متطلبات كل كنيسة عن غيرها ومن عام لآخر في الكنيسة نفسها، فقد تتناول كنيسة ما الرسالة إلى رومية في اثنتي عشرة عظة

كما هو موضح في المثال العملي، غير أنه قد تختلف طريقة التناول في كنيسة أخرى. يوضح المثال العملي كيف يمكن استخدام الأصحاحات الثمانية الأولى لشرح الإنجيل في الاجتماع (٢) والأصحاحات الثمانية الثانية لتحفيز المؤمنين في الاجتماع (١). إذا قررت كنيسة ما دراسة السفر بمزيد من التفصيل مما تسمح به عدد العظات فمن الممكن زيادة كم الدراسة أو تقليل عدد الأصحاحات التي نتناولها.

تمثل الموضوعات العقائدية والعملية المذكورة في البرنامج نطاقاً واسعاً لذا يمكننا إدراج تقريباً أي موضوع يخطر على بالبال تحت أحد العناوين. في مثالنا العملي للربع الثاني يتناول موضوع الكنيسة والعمل المرسلي بصفة رئيسية أموراً محددة ترتبط بنمو الكنيسة وتقديم رسالة الإنجيل للآخرين. لكن يمكن أيضاً إدراج موضوعات أوسع مثل العبادة والصلاة والقيادة تحت هذا العنوان. كذلك يمكن إدراجها تحت عنوان الحياة المسيحية والعبادة وهو عنوان واسع النطاق يمكن أن يضم تحته معظم الأمور التي لم نتناولها في أي جانب آخر.

مهما وضعنا من تنظيمات للتعليم فعلينا أن نضع نصب أعيننا دائماً أن الهدف من البرنامج ليس تغطية كل أصحاح من كل سفر أو كل جانب من كل موضوع، وإنما هو تقديم وجبة متوازنة من التعليم حتى يمكننا إطعام الكنيسة كل عام مجموعة متوازنة من الأسفار الكتابية والعقائد المسيحية والموضوعات التطبيقية.

(١٣)
تقديم التعليم للبعيدين

نقص المعرفة

تناولنا حتى الآن كيفية تعليم الكتاب المقدس في الكنيسة والآن نود أن نتناول كيفية تعليم الكتاب المقدس لأولئك الذين لا يأتون إلى الكنيسة. نهدف إلى إيجاد حلقة دراسية منتظمة ويفضل أن تكون مرة أسبوعياً وهذا يمكننا من شرح رسالة الإنجيل من الكتاب المقدس. ولكن قبل البدء في مثل هذه الدراسة علينا أن نقنع الناس بالمشاركة فيها، وهذا أمر قد لا يكون سهلاً.

يتضح أن معظم الناس لديهم نوع من الإيمان في جانب روحي من جوانب الحياة حتى إذا كانوا يعلنون أنهم لا يؤمنون بأية ديانة على الإطلاق. ويبدو أن مثل هذا الإيمان جزء لا يتجزأ من طبيعة الإنسان. غير أنه سواء اعترف الناس أنهم يؤمنون بالله أم لم يعترفوا ففي أغلب الأحيان نجدهم يترددون في التحدث عن أمور الدين.

وهذا ينطبق حتى على البلدان المسيحية؛ فكثيرون يشعرون بأن عليهم أن يعرفوا المزيد عن الأمور الروحية، ولكنهم نادراً ما يطلبون معونة أولئك الذين في موقع يسمح لهم بالمساعدة. أكثر الأماكن التي يرجح أن نجد فيها معلومات مفيدة عن المسيحية هما الكتاب المقدس والكنيسة. غير أن الكثيرين لا يفضلون أياً منهما وذلك لوجود انطباعات سيئة عن الكتاب المقدس. وهذه الانطباعات تجعلهم لا يجدون ما يجذب انتباههم. إلا أننا إذا استطعنا بناء علاقات صداقة

معهم فربما يوافقون أن نوضح لهم المسيحية.

بناء علاقات صداقة

للأسف كثير من المؤمنين يخشون مصادقة البعيدين أو غير المؤمنين، لكننا من خلال أية دراسة لحياة الرب يسوع سنعرف أنه أمر ممكن بدون تنازل عن المباديء وتقليل مستوى قيمنا أو تهوين من شأن رسالة الإنجيل. لا يعد هذا الكتاب مقاماً للاسترسال في الحديث عن العلاقات لكن ينبغي أن يكون لدينا الاستعداد كخدام للإنجيل لدفع ثمن بناء العلاقات مع الآخرين وهذا يعني أن يكون لدينا اهتمام حقيقي بهم وليس أن «نتظاهر» باهتمامنا على رجاء أن تتاح لنا فرصة لكي «نعظهم». علينا بدلاً من أن نعزل أنفسنا عن غير المؤمنين أن نصادقهم. أطلق على الرب يسوع «صديق الخطاة». يرى المتدينون من أصحاب المذهب التطهيري أن هذا اللقب كان انتقاداً وليس مجاملة أو مدحاً لكن يسوع هو الذي قاد الناس إلى ملكوت الله وليس ناقديه (مت ١١: ١٩؛ ٢١ ـ ٣١).

قد تتطلب صداقتنا للناس تغييراً في أسلوب الحياة فبدلاً من تركيز حياتنا على الأشياء التي نريد عملها فقد نضطر إلى تقديم تضحيات وإحداث تغييرات لنتكيف مع الآخرين. قد نحتاج إلى طلب مساعدة الآخرين علاوة على مساعدتهم في كل شيء ممكن. يتسرب الشك إلى الآخرين حينما نعمل كل شيء لهم ولا نسمح لهم برد المعروف. ينبغي ألا ندفع الثمن بأن نكون جزءاً من أنشطتهم فقط وإنما نسمح لهم بأن يكونوا جزءاً من أنشطتنا.

أحياناً لا نعرف كيف نبدأ هذه الصداقات. أحد طرق تحقيق ذلك هو

الانضمام بالأنشطة الاجتماعية ومنها المدارس والصحة والرياضة والاهتمامات الثقافية وأوجه النشاط الاجتماعي. كذلك يمكننا بناء علاقات قيّمة مع جيراننا وأقربائنا وزملاء العمل.

علاوة على ذلك جميعنا ننتمي إلى كنائس بعض ممن يحضرونها ليسوا من الروحيين، وربما لا يعرفون شيئاً عن رسالة الإنجيل. عادة ما تنظّم الكنائس برامج أنشطة أسبوعية يشترك فيها الأطفال والشباب من العائلات التي لا تتردد على الكنائس يمكننا من خلال هذه المناسبات البدء في بناء علاقات صداقة عن طريق التعرُّف بالوالدين. بالطبع هم يحترمون ما تقدمه الكنيسة لأبنائهم وإن كنا يقظين فإننا سنجد كماً هائلاً من الفرص لزيارتِهم في بيوتهم. وهكذا عن طريق الصلاة والمجهود من جهتنا سرعان ما تَبنى العلاقة. نريد أن نربح ثقتهم ليسمحوا لنا في النهاية أن نبدأ دراسة خاصة للكتاب المقدس في بيوتهم.

لا نتحدث هنا عن «الشهادة» بمعنى فرصة المرة الواحدة لمشاركة الإنجيل هنا وهناك، لكن هذا لا يعني أيضاً أن نتردد في الإخبار بإيماننا. على العكس ينبغي أن نعلن من البداية إيماننا بوضوح. وربما نستطيع أن نعطي أصدقاءنا كتيبات تقدم شرحاً واضحاً وبسيطاً للإيمان. (مثال لهذه الكتيبات كتيب إيمان المسيحي؛ انظر القائمة الواردة في الصفحات ١٤٠ ـ ١٤١). لكن ما نهدف إليه هو أمر طويل المدى وفيه نستطيع معاً تناول الحقائق الأساسية في المسيحية على مدار عدة أسابيع في صبر وتأن. والوسيلة التي نستخدمها في تعليمهم هي الكتاب المقدس.

دراسة الكتاب المقدس في بيت غير المؤمن أو غير المسيحي

كتب الكثير من الأشياء المفيدة عن المباديء المرتبطة بالكرازة وكيف

نعد أنفسنا روحياً وعملياً للمهمة. سوف يستفيد القرّاء استفادة عظيمة من مثل هذه المعلومات على مستوى الكرازة الفردية وكذلك أنشطة الكنيسة. لسنا نركز في هذا الفصل على مناقشة تفاصيل هذه الأمور وإنما كيفية تعليم الكتاب المقدس للبعيدين عن الكنيسة.

عندما نقترح على أصدقائنا فكرة دراسة الكتاب المقدس لعله من المفضل ألا نستخدم تعبير «دراسة الكتاب المقدس» فنحن لا نحتاج أن نطلق عليها اسماً معيناً لأننا لا نود أن يعتقد الآخرون أننا نريد دفعهم إلى منظومة دينية ما. سيدرك كثيرون أن من أسباب بعدهم عن الرب هو ضحالة معرفتهم بالمسيحية «وسيريدون منا توضيح الهدف من الدراسة. ونحن نريدهم أن يتأملوا معنا أحد أسفار الكتاب المقدس ويروا بأنفسهم ما هي الروحانية المسيحية.

يُفضّل أن نخبرهم بأننا لا نطلب منهم سوى اللقاء معاً مرة أسبوعياً على مدى ستة أسابيع حتى يدركوا أنهم لن يظلوا إلى ما لا نهاية في شيء قد لا يفضلونه. يجب ألا تزيد الجلسة عن ساعة ولكن إن زاد اهتمام الحاضرين يمكن زيادة فترة الجلسة عن ساعة لاسيما إذ تخلل الجلسة المشاركة في قدح من الشاي أو القهوة.

علينا إن أمكن أن نعقد جلسات خاصة لدراسة الكتاب المقدس في بيت غير المؤمنين. فهم يشعرون بالأمان والراحة في بيوتهم ويمكن ضمان حضورهم حينما يحين وقت الدراسة.

من الجوانب الأخرى التي نحتاج إلى طمأنة الناس من جهتها هي أننا لن ندير كنيسة صغيرة في بيوتهم. لن تكون هناك صلوات أو ترانيم أو ترديد لمعتقدات أو اعترافات. كما أنهم لا يحتاجون إلى إجابة أسئلة أو

ملء استمارات امتحانات. ليس هدفنا أن نسبب إحراجاً للناس باختبار معرفتهم وإنما أن نستخدم الكتاب المقدس في شرح الإنجيل بأكبر قدر من الوضوح والبساطة.

سفر من العهد الجديد

رغم أنه من المرجح أن أعضاء المجموعة لا يعرفون الكثير- هذا إذا عرفوا بالمرة - عن الكتاب المقدس أو الإنجيل فينبغي ألا نبالغ في تبسيط الأمور لهم كما لو كنا نتحدث مع أطفال؛ فاستخدام أسلوب بسيط لا يعني استخدام لغة طفولية. ينبغي أن نستخدم لغة عادية غير متخصصة ونعاملهم بوصفهم أشخاصاً كباراً فاهمين يهتمون بالأمور الروحية. عادة يقدر الناس شرح حقائق حول شيء لم يكونوا يفهمونه من قبل.

البداية

كما عهدنا في الوعظ والتعليم فإن أحد مفاتيح النجاح هو الإلمام بالموضوع؛ لذا علينا أن نقوم بدراسة السفر حتى نلم بمضمونه فنستطيع تقديمه بثقة واطمئنان. لا أحد يمكن أن يقوم بمثل هذه الدراسة والإعداد نيابة عنا. ليس الهدف من التعليقات التالية أن نقدم لقراء هذا الكتاب تعليماً عن سفر معيّن وإنما نقدم الخطوات التي يمكن تطبيقها في تعليم أي سفر يمكن أن نعلمه.

قبل البدء في دراستنا لأحد أسفار العهد الجديد علينا أن نقدم نبذة عن خلفية السفر. إذا وجدنا في أعضاء المجموعة الشغف الكافي لعدم الالتزام بفترة ستة أسابيع يمكننا تخصيص الدراسة الأولى حول الكتاب المقدس ككل.

عادة ما يكون لديهم اهتمام بالحصول على صورة عامة للكتاب المقدس ونستطيع أن نستفيد بهذا الاهتمام لنساعدهم لكي يروا كيف أن يسوع محور الموضوع، فالعهد القديم يصب فيه والعهد الجديد يتدفق منه.

إذا لم يكن لدينا متسع من الوقت يتيح لنا استخدام الجلسة الأولى على هذا النحو يمكن أن نعطيهم أي كتيب كرازي ليقرأوه في البيت. يقدم الكتيب صورة عامة للكتاب المقدس ويجيب أسئلة الناس عن كيفية كتابته. قد يسألون أسئلة أخرى (مثل: لماذا يولد بعض الناس مصابين بإعاقات مثل الشلل، ما سبب حدوث الزلازل، ما السبب في المجاعات، إلخ). ويجب أن نبذل أقصى جهدنا للإجابة على هذه الأسئلة حتى إذا كانت الإجابة غير محددة فالناس أحياناً يشعرون بالراحة عندما نخبرهم بأننا لا نملك حلولاً قاطعة لمشكلات معينة، لأن كثيرين يعتقدون أن المسيحيين يظنون أن الكتاب المقدس يخبرهم بكل شيء. وهذا يتيح لنا فرصة توضيح أن الكتاب القمدس ليس كتاباً يحتوي على إجابات لألغاز وإنما على إعلان الله لطريق الخلاص.

مهما كانت الأسئلة التي يطرحها الناس فعلينا أن نخصص وقتاً لمناقشتها. وعلينا ألا نصدم إذا تعاملوا مع الكتاب المقدس باحترام أقل منا. ليس هدفنا في هذه المرحلة أن نقنعهم بقبول نظرتنا للكتاب المقدس، وإنما نجعلهم يبدأون في قراءة السفر الذي إخترناه. بمجرد أن يبدأوا قراءة الكتاب المقدس نستطيع أن ندع الكتاب المقدس يتكلم عن نفسه.

ينبغي ألا نفترض أن الناس يعلمون من هو كاتب السفر. يجدر عند تعريفهم به أن نوضح كيف إختاره الرب ليصير ضمن تلاميذه وضمن مدوني أسفار العهد الجديد.

يقدّر الناس التفاصيل التي تقبل التغيير فكثيرون ليس لديهم سوى فكرة غامضة عن الكتاب المقدس وينظرون إليه باعتباره يكاد يكون كتاباً يحتوي قصصاً خيالية وأقوالاً مقدسة. علينا أن نستغل كل فرصة لجذب الانتباه إلى التفاصيل التي تربط مضمون الكتاب المقدس بالعالم الذي يعرفه الناس. يمكننا الاحتفاظ بأطلس في كتابنا المقدس ولكن بدلاً من استخدامه لشرح أحداث العهد الجديد نستطيع الاستعانة بخريطة من مصدر آخر. يمكننا أن نطلب من صاحب البيت أن يمدنا بأطلس يستخدمه ابنه أو ابنته في المدرسة أو يمكننا أن نحضر معنا إحدى المجلات الجغرافية تحتوي على خرائط وصور مناسبة. هدفنا هو ربط عالم الكتاب المقدس بعالم اليوم من خلال عرض تلك الأماكن المذكورة في الكتاب المقدس ومازالت متداولة حتى اليوم.

حيث إن كثيرين قد سمعوا عن قيصر يمكننا أن نذكر إسم من كان إمبراطور روما وقت بداية التبشير بالمسيحية أو وقت استشهاد القديس بولس الرسول. هذا يساعدهم على النظر إلى كاتب السفر كشخصية تاريخية مثلها مثل القيصر الروماني.

التوجه في الاتجاه الصحيح

نود في اللقاء الأول أن نتعمق في الرسالة بقدر الإمكان. كذلك نود أن يفهم الناس ما يقرأون ويبدأون في رؤية كيف أن دراستنا ستكون مفيدة.

ونظراً لأن دراستنا دراسة توضيحية إلى حد كبير فإننا نتكلم معظم الوقت ولكننا عندما نطلب من الآخرين قراءة كلمات قليلة فإنهم يشعرون بأنهم جزء من الدراسة. كذلك يساعدنا هذا على اكتشاف مدى إجادة

الناس في القراءة فإذا كانوا لا يجيدون القراءة فيجب ألا نطلب منهم أن يقرأوا كثيراً لأننا لا نريد أن نتسبب في إحراجهم أما إذا كانوا قراء جيدين فيمكننا أن نطلب منهم أن يقرأوا المزيد.

من سبل المساعدة البسيطة الاحتفاظ بورقة ملاحظات إلى جوارنا أثناء الحديث وكتابة الكلمات المهمة التي نقرأها أو نعلق عليها تعليقاً بسيطاً يمكننا أثناء الشرح رسم خطوط أو أسهم أو أشكال أو ما نفضل وكتابة الملاحظات على نحو عابر وودى يخلو من الطابع الرسمي، ولكن بمجرد الانتهاء من الدراسة سوف تحتوي الورقة على معظم الأفكار الرئيسية. يمكننا أن نطمئن فأفراد المجموعة سيحتفظون بالورقة بل وعمل نسخ منها. ومع مرور الأسابيع سوف يتكون لديهم مجموعة من الملاحظات القيمة رغم قلتها.

أكثر من فهم

تخبرنا بعض أسفار العهد الجديد مثل رسائل بولس الرسول كيف نتبرر بالمسيح يسوع. غير أنه لابد أن نرجع إلى الأناجيل لكي نوضّح كيف أن يسوع تجسد من أجل العالم متمماً إرساليته، وأنه مات دافعاً ثمن الخطية وقام منتصراً. يسوع الأناجيل هو شخص يعمل به الله الآب الخلاص المذكور في باقي أسفار الكتاب المقدّس.

لذا ينبغي أن نحث أفراد المجموعة على قراءة أحد الأناجيل بأنفسهم أثناء الأسابيع القليلة التالية. ينبغي أن نطرح هذا الاقتراح في المرة الثانية وليست الأولى. بالتأكيد نود أن يفهم الناس رسالة الإنجيل (من دراستنا لرسائل بولس الرسول)؛ ولكننا أيضاً نريدهم أن يلتقوا بالرب يسوع (عن

طريق قراءة الأناجيل) . نود أن نخبرهم بالحق غير أننا نريدهم أن يتقابلوا مع شخص المسيح. لا نريدهم أن يفهموا الصليب كنظرية وإنما يعرفوا الشخص الذي مات عليه.

الثقة في قوة الله

ليس للنجاح تركيبة سحرية، ولن يتوب الناس لمجرد أن أجرينا معهم دراسة كتابية فعلينا ألا نقلل من شأن القوة التي نصارع معها ـ فليست حربنا مع دم ولحم وإنما أجناد الشر الروحية للعالم غير المنظور (أف ٦ : ١٢) . في الوقت نفسه نعلم أن أسلحة حربنا لها قوة إلهية قادرة على هدم حصون (٢كو ١٠ : ٤) . كل عمل جيد نقوم به للرب يتطلب تضحية مادية ولكن بدون التضحية الروحية من صلاة يومية سنجد أن ما نبذله من جهد ووقت بلا ثمر. لا يمكننا أن نخلص أحداً فالله وحده يستطيع ذلك.

على الجانب الآخر فإن الذين أوكل الله إليهم مهمة الكرازة، لا ينبغي أن يترددوا في الاستعانة بالكتاب المقدس نفسه في توضيح رسالة الخلاص للضالين. يخبرنا سفر أعمال الرسل بقصة الخصي الحبشي الذي لم يكن مؤمناً لكن كان يبحث عن الحق. عندما سأله فيلبس عما إذا كان يفهم ما يقرأ أجاب الرجل «كيف يمكنني إن لم يرشدني أحد» (أع ٨ : ٣٠ ـ ٣١) . مازال البشر يبحثون عن الحق ونحن نعلم أن الحق الذي يبحثون عنه موجود في الكتاب المقدس. ولكننا إذا تركناهم فليس من المرجح أن يقرأوه وإذا قرأوه فليس من المرجح أن يفهموه ـ ما لم يوضحه لهم أحد. وهذه هي مهمة خدام الكلمة.

إن كلمة الله حية وفعالة وقادرة على اختراق أعماق الكيان البشري

لتدين وتوبخ وتقوم وتفرق على نحو يفوق أية كلمات بشرية (عب ٤: ١٢). ولكنها لن تستطيع عمل ذلك ما لم يفهم القراء ما تقول. إذن علينا نحن الخدام أن نبحث عن طريق لتوضيح الكلمة بأسلوب بسيط وواضح بقدر الإمكان واثقين أنها ستحدث أثرها في قلوب الناس.

مزيد من الاقتراحات

إذا وصل أعضاء المجموعة إلى هذا الحد من الدراسة الكتابية فلن يستمر شعورهم بالتوتر. عندئذ يمكننا أن نعرفهم بأمور أخرى مرتبطة بالمسيحية إذا لم يكن قد سبق لنا ذلك. يمكننا إذا ارتضوا الفكرة أن نختم كل جلسة بصلاة ذاكرين إياهم وما يهمهم من أمور. إذا لم يكونوا من المترددين على الكنائس يمكننا أن ندعوهم لحضور اجتماع أو عمل مسيحي آخر. كذلك يمكننا أن نقدم لهم كتباً مسيحية مفيدة تتناول موضوعات تشغلهم (مثلاً كتب عن الأسرة، قضايا المجتمع، البيئة).

أما فيما يتعلق بالكتب المسيحية فعلينا كخدام لدراسات الكتاب المقدس أن نقرأ أيضاً كثيراً. كلما زادت قراءتنا زادت الثقة التي نشعر بها عند الإجابات على الأسئلة وإدارة المناقشات.

عندما يتجاوب الدارسون مع الإنجيل في توبة وإيمان علينا ألا نظن أن هذه نهاية الدراسات الكتابية الفردية؛ وإنما علينا أن نواصل أسفار العهد الجديد الأخرى ثم نتناول الأسفار المحورية في العهد القديم حتى تنمو معرفة المؤمنين الجدد بالله وكلمته. فهذا سيمنحهم ثقة حتى إنه عندما ينضمون إلى المجموعات الأخرى في الكنيسة أو يسمعون تعليماً في الاجتماعات العامة، لا يشعرون بالجهل أو الارتباك. وبمجرد وضع أساس جيد فإنهم سرعان ما يكملون فوقه.

(١٤)
التحسن في الطريق

استخدام المواهب الروحية

يرى بولس أنه طالما أعطانا الله مواهب روحية فإن أفضل الطرق لتنميتها هي استخدامها (رو ١٢ : ٦)، غير أنه لابد من استخدامها بالطريقة السليمة. لا يعطينا الله مواهب لنستخدمها في متعتنا الشخصية وإنما لفائدة الآخرين وبنائهم. لقد أعطيت المواهب لخير الجميع (١كو ١٢ : ٧) وتقوية الكنيسة (١كو ١٤ : ٥، ٢٦) ولكن متى استخدمت هذه المواهب في روح غيرة أو طموح أناني سيحدث «التشويش وكل أمر رديء» (يع ٣ : ١٦). يمكن أن يكون استخدام المواهب ضاراً إذا لم يرتبط بالتواضع والمحبة.

إذاً علينا في الوقت الذي نجِّد فيه لممارسة المواهب الروحية أن نكون جادين في حياة المحبة (١كو ١٤ : ١). بدون محبة نصير لا شيئاً. قد نظن أن وعظنا مؤثراً ولكنه في الواقع لن يزيد عن مجرد نحاس يطن أو صنج يرن (١كو ١٣ : ١). لا يعطينا هذا مبرراً لإهمال الاجتهاد في تنمية مهاراتنا وإنما يعني أنه علينا أن ننمي شخصياتنا واتجاهاتنا على نحو مماثل.

الأسلوب والطريقة

تختلف مواهبنا حسب نعمة الله الممنوحة لنا (رو ١٢ : ٦) ولكننا جميعاً نحتاج إلى الوصول بهذه المواهب إلى مرحلة النضج. قد نتباين في أساليب

الوعظ ولكننا نحتاج جميعاً إلى الاجتهاد لتحسين مناهجنا في الوعظ.

كان تيموثاوس يحظى بمواهب روحية جهزته للوعظ الجماهيري بالكلمة وذكّره بولس بممارسة تلك المواهب (١ تيمو ٤: ١٣ ـ ١٤). بالتأكيد كان على تيموثاوس أن يوجه القدر نفسه من الاهتمام لحياته الشخصية كما اهتم بخدمته العامة لكي يكون عمله مثمراً (١تيمو ٤: ١٢، ١٦). ولكن كان عليه أيضاً أن يكرّس جهوده لتنمية مواهبه على نحو عملي. في واقع الأمر شجّعه بولس على الاجتهاد في تنمية هذه المواهب حتى يلاحظ الآخرون تقدّمه (١ تيمو ٤: ١٥). هكذا نحن أيضاً علينا أن نعمل دواماً للتحسين من جودة وعظنا حتى يكون تقدمنا ظاهراً للآخرين.

أحد سبل تحسين جودة الوعظ هو الاستماع لشريط مسجل لإحدى عظاتنا. إذا لم يكن هذا ممكناً فيمكننا على الأقل الاستماع إلى تعليقات الأصدقاء المقرّبين أو بعض المستمعين. علينا باستمرار تصحيح أخطائنا ـ مثل التحدث بسرعة زائدة، أو ببطء زائد أو بعامية زائدة أو أخطاء النطق أو الصوت الباهت أو الرتابة أو تكرار الألفاظ الوعظية المفضّلة لدى الوعاظ. يجب أن نواظب على التسجيلات الدورية لنسمع أنفسنا. ونستمر في ذلك حتى إذا شعرنا أننا لم نعد في حاجة إليها، لأنه بمجرد تقويم عادة سيئة لدينا ستظهر عادة أخرى.

إذا تسنى لنا مشاهدة تسجيل فيديو لوعظنا فإننا سنستفيد أكثر ولكن هذا أمر يندر أن يتاح لكثيرين منا هذا إن أمكن على الإطلاق. لكن مازال يمكننا الاستفادة من ملاحظات أصدقائنا واقتراحاتهم. ينبغي ألا نتضايق من الانتقادات، وإنما نقدرها لأنها تساعدنا في معركتنا التي لا تتوقف

مع العادات السيئة مثل: العصبية، التمايل، الخروج عن اللياقة، الحركات والإيماءات التي ليست لها معنى. من ناحية علينا أن نحرص لئلا نظهر مظهر العابسين. ومن ناحية أخرى ألا نظهر ابتسامة عريضة مفتعلة. وعند التواصل مع السامعين علينا أن نحرص على التواصل البصري وفي ذات الوقت نقاوم الميل للتركيز على مجموعة معينة من الحاضرين.

يمكننا أيضاً أن نتعلم من خلال مشاهدة الوعاظ الآخرين وملاحظة الأشياء المرغوبة والأشياء التي يُفضّل الابتعاد عنها. ولكن من الحماقة أن نحاول تقليد الآخرين لأن السامعين سيميّزون هذا سريعاً. أما بالنسبة لأسلوبنا في الوعظ فإن أفضل نصيحة يمكن لأحد أن يقدّمها لنا هي أن «نكون أنفسنا». لا يعني هذا أن نرفض تغيير العادات السيئة أو تنمية أساليب جديدة، وإنما يعني أن نستمد أسلوبنا في الوعظ من شخصياتنا على طبيعتها.

التفكير في الكلمات

ذكرنا من قبل أننا نحتاج إلى أن نفكّر في الكلمات التي نستخدمها قبل أن نعظ في الكنيسة حتى يمكننا التخلُّص من الكلمات التي أصبحت سمة عامة في التعبيرات الكنسية ولكنها لم تعد شائعة في حديثنا اليومي (انظر الفصل الخامس). أما بالنسبة لتعليم الذين لا يحضرون الكنيسة (انظر الفصل الثالث عشر) فنحن نحتاج إلى تحرّي مزيد من الدقة في اختيار الكلمات التي نستخدمها. إن عدم قدرة المؤمنين على التواصل بلغة يومية واضحة يعد أحد أسباب انصراف البعيدين عن الكنيسة عن رسالة الإنجيل.

فمثلاً عندما نقوم بتعليم المبتدئين يُفضّل أن نستخدم تعبير «الكتاب

المقدس» بدلاً من «الوحي المقدس». قد يكون التعبيران صحيحين ولكن علينا أن نختار التعبير الذي يستطيع الجميع فهمه بدلاً من التعبير الذي لن يفهمه سوى القريبين.

قد نجد صعوبة في شرح الأمور اللاهوتية. ولكن طالما نبحث عن طريق لنعبر عن أنفسنا فإننا سنحسن فهمنا. كما سوف يساعدنا التفكير المتأني على تحرّي الدقة. بقدر الإمكان علينا أن نكون محددين وبعيدين عن التعقيد حتى في أمور مثل تلك الحقائق المرتبطة بالثالوث. يصاب معظم الناس بالحيرة وعدم القدرة على التمييز بين ألفاظ مثل «الله»، «الرب»، يهوه»، «المسيح»، «يسوع»، «الروح القدس». وهم لا يستطيعون تحديد ما إذا كانت هذه الكلمات تحمل معنى واحداً أم أنها كلمات مختلفة. لذا ينبغي أن نفكر بشكل محدد عما نريد أن نقول وألا نستخدم كلمات قد تحمل أكثر من معنى. على سبيل المثال نحتاج أن نضيف كلمة «يسوع» إلى كلمة «الرب» إذا قصدنا يسوع وألا نكتفي بكلمة «الرب» وحدها عندما يقبل الناس الكلمة؛ يمكننا أن نوضح لهم الأمور بصورة أكثر تفصيلاً.

نستطيع بالممارسة تكوين مجموعة من الألفاظ غير المتخصصة وفي الوقت نفسه تنمية أسلوبنا الشخصي. سنجد طرقاً أسهل لتوضيح الحقائق وتكوين مجموعة من الأمثلة والصور التناظرية المفيدة. إذا وضعنا قلبنا للتعليم وسوف يزيد وعينا بما ينبغي أن نقوله وما ينبغي ألا نقوله.

عندما نعظ في الكنيسة قد نشعر بقيود معينة على أسلوب الحديث وهو ما نشعر به أيضاً حينما نقدم تعليماً لأشخاص مبتدئين. ولكن علينا أن نتوخى الحذر لئلا نعود إلى عاداتنا السيئة. ينبغي أن نفحص كلماتنا

باستمرار لنتأكد أنها تقدم للسامعين المعاني نفسها التي نفهمها نحن.

الشخص والرسالة

علاوة على حرصنا على سلامة اختيار الكلمات عند التعليم ينبغي أن نتحرى الدقة في كلامنا وتصرفاتنا بصفة عامة. ينبغي أن يكون لخدام الله «كلاماً صحيحاً غير ملوم» (تيط ٢ : ٨؛ انظر ما جاء في كو ٤ : ٦) وكذلك تكون حياتهم الخاصة والعامة بلا عيب (تيط ١ : ٦ ـ ٧؛ انظر ما جاء في في ٢ : ١٥) . لابد أن تتوافق حياتنا مع ما نعلم.

هذا يتطلب منا اليقظة والتدريب المستمر لأن أي خطأ واضح يمكن أن يجعل السامعين ينصرفون عن كل ما نقول، كما سيجلب علينا دينونة الله أو تأديبه. يخبرنا يعقوب أن أولئك الذين يعلمون سيحاسبون بشدة أكثر من الآخرين (يع ٣ : ١)، ويخبرنا بولس بأننا إذا حكمنا على الآخرين وعملنا الأشياء التي يعملونها فإننا ندين أنفسنا (رو ٢ : ١) .

رغم أن علينا أن يأخذ خدام الكلمة هذه التحذيرات مأخذ الجد فعليهم ألا يحاولوا تجنب المسئولية التي أوكلها الله إياهم بسبب الجبن أو الخوف، لأنهم سيقدمون حساباً عن الكيفية التي تجاوبوا بها مع هذه الوكالة، لذا عليهم أن يعملوا بإخلاص وأمانة واجتهاد (١كو ٤ : ١ ـ ٢) . في الوقت نفسه ينبغي أن يكون لهم قلب متكل على الله فكل شيء بيده وحده. ينبغي أن يكون مرادهم أن ينجذب الناس إلى الله وكلمته وليس لهم أو لأسلوبهم في الوعظ، كما يجب أن يكون وعظهم وتعليمهم قائماً على قوة الروح القدس القادرة على الإقناع لكيلا يكون إيمان السامعين مبنياً على

إنجاز بشري وإنما على قوة الله (١كو ٢: ٤ ـ ٥).

الامتحان الأخير

بالصلاة والعمل الجاد ستكون خدمة الوعاظ نافعة لله وأكثر إفادة للسامعين. يمكنهم أن يسعوا لتحسين أسلوبهم في الوعظ وطرقه ولكن الأهم من كل شيء أن يكون هدفهم هو بناء الناس في معرفة الله وكلمته. ينبغي أن يكون تعليمهم بنائياً ورعوياً في الوقت نفسه.

من هذا المنطلق ينبغي أن يكون مضمون العظة جل اهتمامهم وتركيزهم، فمن خلال المضمون الغنى والتقديم الجيد ليس من المفترض أن يجدوا صعوبة في الاستحواذ على انتباه السامعين لمدة ثلاثين دقيقة أو أكثر.

ليس معيار العظة الناجحة مدح الناس وهم يغادرون في نهاية الاجتماع وإنما هو التأثير الذي تتركه في حياتهم. يحقق شرح الخدام للكتاب المقدس إحدى غاياته الرئيسية حينما يتصالح من يسمعونه مع الله ويتغيرون إلى صورة يسوع المسيح. ليس الهدف أن يتكل السامعون عليهم أو على وعظهم وإنما أن يتعلموا كيف يشبعون بكلمة الله، وأن يرجعوا إلى بيوتهم وقد أخذوا قراراً بأن يعملوا ما يقول الكتاب المقدس كذلك يصبح لديهم رغبة جديدة في قراءته بمفردهم. عندئذ سيشعر الخادم بجزء من السعادة والرضا اللذين شعر بهما يوحنا حينما لم يعد الناس يتبعونه وإنما تبعوا يسوع. وشعار الخادم في ذلك «ينبغي للكلمة أن تزيد وإني أنا أنقص» أنظر (يو ٣: ٢٦ ـ ٣٠).

المحتويات

صفحة

دع الكتاب يتكلم عن نفسه

يريد كثير من المسيحيين أن يعرفوا الكتاب المقدس ويعلّموه بطريقة أفضل، ولكنهم يصابون بالإحباط عندما يجدوا أنفسهم يقرأون الكتاب ويعلّموه بدون المسحة التى يبتغونها. ربما كانوا يحاولون جاهدين، أو لعلهم يسيرون فى الطريق الخطأ. هؤلاء لديهم أفكارهم الخاصة بمقدرة الكتاب المقدس وعندئذ يحاولون ملائمته مع هذه الأفكار.

يقترح هذا الكتاب أن هؤلاء سوف يستمتعون بالكتاب المقدس (على نحو) أفضل عندما يسمحوا له أن يفعل مشيئته، بدلاً من محاولة دفعه لملائمة متطلباتهم.

عليهم أن يدَعوا الكتاب المقدس يتكلم عن نفسه. كيف إذاً يمكننا أن نقرأ الكتاب المقدس ونستمتع به بدون إستخراج الدروس المصطنعة منه ونظل فى الوقت نفسه خاضعين إلى ما يقوله؟ كيف يعلّم الوعاظ عن سفر من أسفار الكتاب دون الدخول فى دراسة مفصلة آية تلو الأخرى، أو إعطاء نظرة عامة خاطفة لهذا السفر التى بدورها تفشل أن تتعامل مع النص؟ وللإجابة على هذين السؤالين يشجع المؤلف المسيحيين وخاصة الوعاظ منهم أن يفهموا الكتاب المقدس ويعلّموه بالشكل الذى أعطاه الله.

يقدم هذا الكتاب خطوط إرشادية وأمثلة عملية حول كيفية شرح النص دون أن يمل الناس من المناقشات الفنية، وعن كيفية خدمة إحتياجات الناس فى حين تظل معانى النص صادقة.



تقديم
نيافة الأنبا بيشوي
رئيس قسم الايمان والوحدة
بمجلس كنائس الشرق الأوسط